الجمهوريــة الجزائريـة الديمقراطية الشعبيــة

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة عباس لغرور – خنشلة –

- كلية الآداب واللغات
- قسم اللغة والأدب العربي
- الشعبة دراسات لغوية
- التخصص: لسانيات عامة

عنوان المذكرة:

الصوتيات العربية من خلال كتابات المستشرقين الألمان

برجشتراسر – أنموذجا–

بحث مقدم لقسم اللغة والأدب العربي لاستكمال مقاييس شهادة
مـــــــاستر 2

تقديم الطالبـــة:
كواشي يسمينة

إشراف الاستاذ:
عادل زواقري

لجنة المناقشة

الاسم واللقب	الرتبة العلمية	الجامعة الأصلية	الصفة
قري عالية	أستاذ محاضر قسم "ب"	جامعة عباس لغرور خنشلة	رئيساً
عادل زواقري	أستاذ محاضر قسم "ب"	جامعة عباس لغرور خنشلة	مشرفاً
جلال سليمة	أستاذ مساعد قسم "أ"	جامعة عباس لغرور خنشلة	عضوا مناقشا

السنة الجامعية 2017- 2018 م

بسم الله الرحمن الرحيم

شكر و عرفان

بعد أن من الله علي بإتمام هذه الدراسة، لا يسعني إلا أن أتقدم بجزيل الشكر إلى أستاذي الفاضل، الدكتور عادل زواقري، الذي تكرم مشكورا بالأشراف على هذه الدراسة.

ولما أحاطني به من توجيهات قيمة وإشارات طيبة تمثلتها وعملت بها في دراستي هذا فضلا عن الدعم والمساندة المعنوية.

كما أتقدم بالشكر والتقدير إلى الأساتذة الكرام أعضاء هيئة المناقشة الذين تفضلوا بمناقشة هذه الدراسة واشكر لهم ملاحظاتهم القيمة.

ولا يفوتني أن أتقدم بخالص الدعاء إلى كل من أسدى لي معروفا، وساهم في إخراج هذه الرسالة

وأخيرا أتقدم بشكر والعرفان لفضل أساتذتي الكرام علي.

إهداء

الحمد لله مبدع الأكوان خالق الإنسان معلما إياه البيان، الحمد لله حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه غير مكفي ولا مودع ولا مستغنا عنه ربنا، وأفضل الصلاة وأزكى السلام على الحبيب محمد صلى الله عليه وسلم ما طارا الطير وما رنم، وما نجهل نحن وما نعلم، دوما ما ذكر الله فم

اهدي ثمرة هذا العمل المتواضع

إلى من أنار لنا الدرب وأزال عن طريقنا حجرة العثرة

إلى من أيقض في أنفسنا روح العمل واحيا إرادتنا

إلى من كان الركيزة التي اعتمدنا عليها طوال انجاز هذا البحث ولم يبخل علينا بعمله ومعرفته ومساعداته القيمة الأستاذ الفاضل:

عادل زواقري

إلى الوالدين الكريمين أطال الله في عمرهما، خاصة قرة عيني الصامدة في الحياة أمي الغالية.

إلى من كانوا سواعدي عبر الأيام ونورا أضيء بهم وجودي إخوتي وأخواتي

إلى العيون البريئة والأرواح العذبة " أميرة، سيف الإسلام، الياس، يونس، ياسر" حفظهم الله ورعاهم برعايته.

إلى روح الأخت والصديقة ابنة خالي خيرة كواشي تغمدها الله برحمته واسكنها الفردوس الأعلى.

إليكن يا زهرات نبتت في ربوع التقوى ويا نجمات سطعت في سماء الدنيا صديقاتي الغاليات

إلى كل أساتذة واستاذات كلية الآداب واللغات وخاصة عمال المكتبة المركزية.

مقدمة

تبوء الدرس اللغوي عند علماء اللغة العربية القدامى منزلة خاصة، وحظي بعناية بالغة، في مختلف مستوياته وخاصة على مستوى علوم الآلة الثلاث: وهي العلوم التي يتوصل المتكلم بمعرفتها وإتقانها إلى موافقة العرب في كيفيات كلامهم ونطقهم بالجمل والألفاظ والحروف (الأصوات)، وهذه العلوم هي علم النحو واختصاصه بناء الجملة في اللغة العربية، وعلم الصرف ومجاله تركيب الكلم، وعلم الصوتيات ومجاله العناية بصحة النطق بالحروف وسلامة مخارجها، وتحديد صفاتها، والتفريق بين المتشابه منها وما إلى ذلك من طول الحركات ومقدار السكت وما يترتب على تجاور الحروف من أحكام وقوانين نحو الإدغام والمد وغير ذلك مما يخدم سلامة النطق بالحرف الذي هو عماد اللفظ، الذي عليه تنبني الجمل ومن هذه الأخيرة يتركب النص، فمن جهل بكيفية النطق بالحرف وفاته العناية بسلامة الصوت، فقد جهل بأساس اللغة لأنه أصغر وحدتها وكل الوحدات الكبرى من كلمات وجمل تتركب منه.

وقد بررت هذه العناية الخاصة التي عرفها علم الصوتيات فضلا على ما ذكرنا من كون الحرف هو أساس تركيب اللفظ وبناء الجملة مبررات أخرى، تعد العناية بتجويد القرآن الكريم وتلاوته والحاجة إلى تعليم الوافدين إلى الإسلام من غير العرب كيفية القراءة الصحيحة إذ خرجت العربية من كونها لسان جماعة معلومة وطائفة من الناس مخصوصة لتصير لسان عقيدة تجمع بين كل أجناس البشر وشعوبهم، فجاءت الصوتيات العربية موزعة على مؤلفات علم التجويد والنحو والصرف، إذ أنها أساس هذه العلوم الثلاث وهي بمثابة المقدمة لها إذ لا يتم الحذق بأحدها إلا بعد إتقان النطق بالحرف نطقا سليما صحيحا، يوفي المنطوق به حقه ومستحقه.

ومع تطور البحث تبلورت نظرة عربية إلى الأصوات اللغوية، لتصبح علما قائما بذاته، وغدت الملاحظات الصوتية تسهم في تفسير الكثير من ظواهر اللغة وقواعدها، بعد

ان تناولها العلماء بالوصف والتحليل مستنبطين أحكامها وقواعدها وتأثير ما يلحقها من علل على اللفظ وبالتالي على عموم التركيب من حيث المعنى والمبنى.

إن هذا التطور الذي عرفه علم الصوتيات العربية، جذب انتباه الآخر كنتيجة طبيعية لمجموعة من الدوافع من الولع بالغالب إذ مثل العالم الإسلامي خلال فترة طويلة من تاريخه مركز الحضارة والقوة والعلم في العالم، وكذلك سعي هذا الآخر لاستكشاف مرتكزات هذه الريادة العلمية والفكرية التي تميز بها العالم الإسلامي إما من باب الحب الفطري للمعرفة والاستكشاف اللذان جبل عليهما البشر، أو من باب حرص الخصم على معرفة عناصر قوة خصمه وغير ذلك من الأسباب التي تولد عنها البحث الاستشراقي والذي هو بأبسط مفاهيمها عكوف الآخر لغربي على دراسة الأنا الشرقية من مختلف مناحيها الفكرية والدينية والتاريخية والحضارية والاجتماعية، ولما كانت اللغة أساس العلم لأنها وسيلة تبيانه وأساس الأدب لأنها مادته وأساس الديم لأنها لسانه وكان العرب متقدمين على غيرهم من الأمم أشواطا في كل ذلك إلتفت هؤلاء المستشرقون، إلى دراسة علوم اللغة العربية إما بهدف الاقتداء وطلب الحكمة والمنافسة على العلم والمعرفة، أو بهدف مناصبة العداء واتخاذ اللغة مطية للطعن في الأدب العربي وفي القرآن الكريم، قبل ذلك إذ أن اللغة جوهر الأول وحاملة الثاني.

وقد نالت الصوتيات العربية حظها من البحث الاستشراقي، إذا كتب المستشرقون العديد من البحوث في مجال الصوتيات العربية، خاصة الألمان منهم واللذين كتبوا جملة من البحوث في هذا الحقل نحو ما قدمه "أرتور شاده"، في بحثه القصير الموسوم بـ علم الصوتيات عند سيبويه وما قدمه المستشرق "برجشتراسر" من جهود وهب موضوع هذا البحث المعنونة **بالصوتيات العربية من خلال كتابات المستشرقين الألمان – برجشتراسر أنموذجا**– والذي انطلقنا في إعداده من إشكالية أساسية مفادها: كيف تمظهرت الصوتيات

العربية في كتابات المستشرقين الألمان؟ وما مقوف برجشتراسر من أصالة الدرس الصوتي العربي ؟ وما هي إضافاته للدرس الصوتي العربي ؟

وقد جاء اختيارنا لموضوع الصوتيات العربية عند المستشرقين الألمان مدفوعا بجملة من الأسباب الذاتية والموضوعية: أما الأسباب الذاتية فنذكر منها:

- جدة الموضوع بالنسبة لجامعة خنشلة على الأقل.
- الرغبة الميول اللذتان كانا الدافع الأول لاختياري لهذا الموضوع.
- رغبتي في إكمال الدراسات العليا في هذا التخصص.

أما الأسباب الموضوعية فقد تعددت وتنوعت، إذ دفعنا لاختيار موضوع الاستشراق في الدراسات العربية: قلة الاهتمام بهذا النوع من البحوث الأكاديمية، ضرورة إعادة الاعتبار للتراث العربي الصوتي، وكان اختيارنا للمدرسة الاستشراقية الألمانية مبررا بـ: كون هذه المدرسة تعتبر أبرز مدارس البحث الاستشراقي، اتسام المستشرقين الألمان بالجدية فيما يقدمونه من دراسات وبحوث، إضافة إلى التزام هذه المدرسة بالمهجية العلمية، تأثير مبائها وإعلامها من أمثال "آمن ماري شيل" و "كارل بروكلمان" على البحث الاستشراقي في باقي أوربا، وأما عن اختيارنا لما قدمه المستشرق برجشتراسر حول الصوتيات العربية ليكون نموذجا لهذه الدراسة فيعلله فضلا عن تميز ما قدمه من دراسات حول الصوتيات العربية اتسامه بالموضوعية وإنصافه للدرس الصوتي العربي.

كان مسلكنا للإجابة عن ما يطرحه هذا البحث من تساؤلات محكوم بمنهج وصفي تحليلي ومنهج مقارن اقتضته طبيعة الدرس اللغوي القائم على وصف الظاهرة اللغوية انطلاقا من تحليلها وما ورد في التطور النحوي من مقارنات بين اللغات السامية مستسمرين خلال طلب هذه الأجوبة مجموعة من المراجع والمصادر أهمها:

- لسان العرب لإبن منظور

- سر صناعة الإعراب لأبي الفتح الجني
- البحث اللغوي عند العرب لأحمد مختار عمر
- الكتاب لسيبويه
- أبنية الصرف في كتاب سيبويه لخديجة الحديثي
- التطور النحوي للغة العربية للمستشرق برجشتراسر

وقد تشكل البحث وفق خطة منهجية، ابتدأناها بمدخل معنون بالدراسات الاستشراقية تعرضنا فيه لظاهرة الاستشراق عموما من حيث المفهوم اللغوي والاصطلاحي، نشأة الظاهرة الاستشراقية وتاريخ ظهورها، بالأضافة إلى تقديم عام حول نشأة الدراسات الصوتية العربية.

جاء بعد هذا المدخل فصل أول بعنوان: دراسات المستشرقين الألمان للدرس الصوتي العربي وتشكل هذا الفصل من ثلاثة مباحث هي:

المبحث الأول: وسائل الاستشراق، عرضنا خلاله أهم الوسائل التي اعتمدها المستشرقون في تحقيق أهداف البحث الاستشراقي على اختلافها، وجاء في خمسة عناصر هي: (تأليف الكتب، إصدار المجلات، المؤسسات العلمية، عقد المؤتمرات والندوات، نشر المقامات).

المبحث الثاني: المدرسة الألمانية أهم مستشرقيها، وقسمناه إلى أربعة عناوين فرعية تناولنا خلالها أهم المدارس الاستشراقية وأهم المستشرقين فكانت عناصر الفصل على الترتيب، المدرسة الفرنسية، أهم المستشرقين الفرنسيين، المدرسة الألمانية، أهم المستشرقين الألمان.

المبحث الثالث: أهم كتابات المستشرقين في الدرس الصوتي العربي، وقدمنا خلاله صورة شاملة حول جهود المستشرقين وما قدموه من دراسات حول الصوتيات العربية وكان هذا المبحث من أربعة عناوين هي:

1- إسهامات المستشرق الألماني أرتور شاده في الدرس الصوتي العربي.
2- دراسة المستشرقين للغة العربية ولهجاتها القديمة والحديثة.
3- الآثار السلبية التي تركها المستشرقين في العربي والإسلام.
4- ما يجب على العرب اتجاه لغتهم.

تلا هذا الفصل فصل ثاني تحت عنوان الدراسة الصوتية عند برجشتراسر، تعرضنا خلاله للتفصيل فيما قدمه البحث الصوتي عند هذا العالم الألماني وكان الفصل موزع لعى ثلاثة مباحث هو الآخر:

المبحث الأول والذي عنواناه ب**الصوامت،** تناولنا مخارج الأصوات وصفاتها، الفروق بين نطقنا ونطق القدامى، بين العربي والساميات، المماثلة الصوتية والإدغام، المخالفة الصوتية والإدغام، القلب المكاني، أحوال الهمز، وأحوال الواو والياء.

المبحث الثاني معنون ب**الصوائت (حركات)،** فكان من أربع عناصر وهي:

1-عدد الحركات، 2- الضمة والكسرة حركة واحدة، 3- تغير الحركات وحذفها وزيادتها، 4- الضغط والتنغيم.

وكان **المبحث الثالث** مقارنة بين الصوتيات العربية عند العرب وعند المستشرق برجشتراسر وعنوان المبحث **ما وافق فيه العرب وما خالفهم،** وجاء في عنصرين.

وقد ختمنا الدراسة بخاتمة ضمناها أهم النتائج التي توصلنا إليها خلال البحث ومن بينها:

تنوع أهداف الاستشراق وتعدد دوافعه، تعدد الوسائل المعتمدة لتحقيق هذه الأهداف وتنوعها، التأكيد على مساهمة الحركة الاستشراقية في خدمة التراث العربي في شتى مجالاته، إثبات أصالة البحث الصوتي العربي ونشأته مدفوعا بالحاجة إلى تعلم القرآن تلاوة وتجويدا، إلتزام المستشرق الألماني برجشتراسر جانب الموضوعية في دراسته للصوتيات العربية وإنصافه لجهود الدارسين العرب ودفاعه عن أصالة هذا الدرس في التراث العربي رغم مخالفته لهم في بعض المصطلحات والمفاهيم، تعدد نقاط التوافق بينما قدمه برجشتراسر وما يقدمه التراث العربي في مجال الصوتيات العربية. كما قد وافق العرب في بعض المصطلحات والمفاهيم وخالفهم في بعضها مثال ذلك: مصطلح المجهور ترجمه بالصوتي والمهموس عند العرب يقابله بمصطلح غير صوتي، ويوافق العرب في ترتيبه لمخارج الحروف وفي عددها سبعة عشر مخرجا.

ولا يفوتنا أن نتقدم بجزيل الشكر للأستاذ المشرف عادل زواقري الذي كان لي خير ناصح ونعم المعين فقدم لي من وقته وعلمه وكتبه وجهده، ما لا يقم مثله إلا محسن كريم وجواد جوود، فله أقول لو كان لإحسان المحسنين مدى فإحسانك فاق كل مدى، فكيف أشكرك وكل كلمات الشكر تعجز دون أقل فضلك فكيف بأكثره ؟ أستاذي الفاضل عجزت عن شكرك والعاجز عن الشكر أبلغ الشكر ولكن أقول: بارك الله فيك ولك وعليك وجزاك عني خير ما جزى محسنا عن إحسانه ومنعما عن نعمائه ومعطيا عن عطائه.

مدخل

1-تعريف الظاهرة الإستشراقية:

أ- لغة:

ترجع كلمة استشراق حسب ابن منظور في معجمه لسان العرب في مادة (شَرَقَ)، حيث يقول: شرقَ: شَرِقَت الشمس تشرق شُروقًا وشَرقًا: طلعت... وقوله تعالى: "يا ليت بيني وبينك بعد المشرقين فبئس القرين"[1](الآية 38 من سورة الزخرف)؛ إنما أراد بعد المشرق والمغرب، والشرق: المشرق، والجمع أشراق، و التشريق: الآخذ في ناحية المشرق. يقال: شتان بين مشرّق ومغرّب وشرّقوا: ذهبوا إلى الشرق أو أتو الشرق. وكل ما طلع من المشرق فقد شرّق، وفي الحديث: أناخت بكم الشرق الجون، يعني الفتن التي تجيء من قبل جهة المشرق جمع شارق... وأشرق القوم: دخلوا في وقت الشروق، فأما شرّقوا وغرّبوا فساروا نحو المشرق والمغرب والشرقي اسم رجل راوية أخبار [2].

فهذا قديما أما حديثا فقد عرّف في معجم الوسيط كما يلي: (شرقت) الشمس شُرْقًا و شُرُوقًا: طلعت، وشرق وجهه. إحمر خجلا. وأشْرَقَ وجهه: تلألأ حسنا، شرّق: أخذ في ناحية المشرق. والإشراق: انبعاث نور من العالم غير المحسوس إلى الذهن، تتم به المعرفة والتشريق: (أيام التشريق) ثلاثة أيام بعد يوم النحر، وصلاة العيد والشريق: المشرق (ج) شرْق(المشارقة): سكان المشرق. واحدهم: مشرقي، والمشرق: جهة شروق الشمس والبلاد الإسلامية في شرقي الجزيرة العربية(ج) مشارق[3].

---

[1] الآية 38 من سورة الزخرف.

[2]- ابن منظور محمد جمال الدين بن مكرم، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط4، (2005)، م ج 8، (مادة شرق)،ص64.

[3]- مجمع اللغة العربية بالقاهرة، المعجم الوسيط، المكتبة الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع، استانبول، تركيا، دط، د تا، ج1، ص:480.

يتبين من خلال التعريف اللغوي أن كلمة استشراق لم يرد معناها قديما و لا حديثا من خلال لسان العرب ومعجم الوسيط، غير أنه يمكننا استنتاج ما تدل عليه هذه اللفظة من خلال المشتقات التي حاولنا جمعها والتي لها نفس الأصل مع الكلمة المراد تعريفها (استشراق)، حيث أن الشرق، والمشرق، والتشريق وشرّقوا، والشرقي، والشريق، كلها جذور لغوية تؤدى معنى واحد وهو أهل الشرق وناحية المشرق، والفعل(إستشرق) جاء على وزن إستفعل، وحرف السين فيها يفيد الطلب أي طلب دراسة ما في الشرق من علوم، واتجاه للتخصص في معرفتها.

ب-اصطلاحا:

أما مفهوم الإستشراق اصطلاحا، فقد تباينت التعريفات واختلفت إلا أنه لم يتم التوصل إلى إعطاء تعريف جامع ومانع، إذ عرفه احمد سمايلوفيتش(smillovic) بأنه: "التبحر في لغات الشرق وآدابه"[1].وهذا في معنى القول؛ التعمق في الدراسات اللغوية والتدقيق في معالجة قضاياها، وهذا ما ذهب إليه احمد حسن الزيات في تحديده لمفهوم الإستشراق قائلا: "هو دراسة الغربيين لتاريخ الشرق وأممه ولغاته وآدابه وعلومه وعاداته ومعتقداته وأساطيره"[2] وهنا تكمن خطورة عمل المستشرقين، وأبحاثهم على اللغة العربية وعلى الدين الإسلامي فهم يدرسون معظم الجوانب الفكرية والعلمية والدينية لأمة من الأمم خاصة المسلمين،وما يغنينا عن هذه اللغة، فقد درسوا العربية دراسة متعمقة من حيث أصولها وخصائصها، وقدرتها على استيعاب العلوم، واهتموا بالبحوث اللسانية المختلفة كدراسة الصوتيات والنحو والمعاجم.

أما من الغربيين فقد عرفه جويدي(ignazio guidi) قائلا بأنه: "التعمق في درس أحوال الشعوب الشرقية ولغاتها وتاريخها وحضارتها" في حين يحدده ادوارد سعيد Edward)

[1]- الزيات احمد حسن، تاريخ الأدب العربي، دار المعرفة، بيروت-لبنان، ط7، (1423هـ-2002م)، ص:378.

[2]- المرجع نفسه: ص379.

(said بقوله: "نمط من الإسقاط الغربي على الشرق وإرادة السيطرة عليه[1]".؛ نفهم من تعاريف الغرب للإستشراق أنه هناك دوافع غير مباشرة جعلتهم يولون الاهتمام باللغة العربية والعرب وعقيدتهم و ثقافتهم ونخلص مما تقدم إلى: أن الإستشراق في التعريف اللغوي يدل على التوجه إلى الشرق وطلب علومه وهو في التعريف الاصطلاحي الاتجاه إلى معرفة ما عليه الشرق الإسلامي من لغة وآداب وثقافة.

الظاهرة الإستشراقية نشأتها وتاريخ ظهورها:

الواقع أن تاريخ نشأة الحركة الإستشراقية لم يتم تحديده بالضبط من قبل الباحثين، حيث من الصعب علينا تحديد هذا التاريخ ذلك لوجود آراء كثيرة في التأريخ لحركة الإستشراق، إذ ليس هناك اتفاق بين الباحثين على فترة معينة لبدايته، تماما مثلما اختلفوا في تعريفه فذهبوا مذاهب متباينة وكل يرجع تاريخ نشأة الإستشراق إلى عوامل مختلفة.

"فهناك من يرجع تاريخ نشأته إلى فترة ظهور الإسلام وبعثة النبي صلى الله عليه وسلم، أي مع بدايات البعثة المحمدية عندما علم الغرب بها من خلال وفود النبي صلى الله عليه وسلم لقيصر والروم، وغيره مما دفع هذا الغرب إلى توجيه اهتمامه إلى هذا الدين الجديد وأصحابه"[2].

ويذهب آخرون إلى أن نشأة الإستشراق "كظاهرة ثقافية إنما كانت في أعقاب ذلك الصدام العنيف بين الحضارة الإسلامية الشابة المتوثبة، والحضارة الغربية المسيحية المتخاذلة... وأضافت الحضارة الإسلامية الكثير من المعارف والنظريات والآراء في مختلف حقول المعرفة الإنسانية ولما اضطربت أوضاع المسلمين وتمزقت دولهم وانصرفوا إلى الترف

[1]– نسيمة نابي، واقع اللغة العربية واثر المستشرقين عليها، جامعة العربي بن مهيدي، ورقلة، ص:156.

[2]- إدريس محمد جلاء، الاستشراق الإسرائيلي في المصادر العبرية، العربي للنشر والتوزيع، القاهرة (1418هـ– 1998م) ص: 18.

واللهو طمع فيهم العدو واخذ طريقه نحو القدس مخترقا قلب العالم الإسلامي (الحملات الصليبية) فالتفت الغرب إلى العلوم والمعارف وأخذت الكنيسة تشجع حركة الترجمة"[1].

ومنه يتضح أن الإستشراق إنما وجد بفعل التحدي القوي القائم بين الحضارتين العربية والغربية وأقوى دافع لقيام هذه الحركة إنما هو الدافع الديني، لذلك يرجع بعض الباحثين بداية الإستشراق إلى الفترة التي"دقت فيها جيوش الفتح الإسلامي أبواب أوروبا العريضة، وكان المسلمون قد احتلوا العرش والسيادة الدولية، وملأوا سمع الزمان وبصره وقلبه وسائر مشاعره. هكذا أخذت أوروبا الغرقة في الجهل والتخلف الحضاري يومئذ تبحث عن أسباب نهضة المسلمين، وبلوغهم هذا المجد العظيم"[2].

ما ألهب حماس الغرب بدراسة الإسلام بروح عدائية حقودة، فقدت اتزانها وموازينها في نظرتها وحديثها عن الإسلام و المسلمين، ولما غار المسلمون على دينهم الإسلامي، اتحدوا وتصدوا لكل من يهدف إلى تشويه عقيدتهم أو المساس بالدين الإسلامي والقرآن الكريم من المستشرقين، وهذا ما جعل من المستشرقين يلجؤون إلى طرق ملتوية وحيل خبيثة لتعميم فكرة ضعف الدين الإسلامي من جهة بعدما وصل لأقطار عديدة من العالم، وليبينوا ضعف اللغة العربية من جهة أخرى باعتبارها لغة القرآن الكريم، أمام العالم فظهر المستشرقون في صور عديدة أثناء ممارستهم للإستشراق، منها: "صورة الرحالة، صورة الجندي، وصورة الدبلوماسي، وبالطبع صورة الإيديولوجي، وصورة عالم الأعراق، وصورة المؤرخ والغالب عليهم صورة أستاذ العربية"[3] وعليه ففي الحقل المعرفي يسلك المستشرق مسارات مختلفة لتحقيق مسعاه ألا وهو معرفه الشرق حيث تنبني شخصية المستشرق

[1]– محمد فاروق النبهان: الاستشراق، (تعريفه، مدارسه، أثاره)، منشورات المنظمة الإسلامية والعلوم والثقافة، ايسيسكو، (1433هـ–2012م)ص:8.

[2]– حبنكة الميداني، عبد الرحمن حسن: اجنحة المكر الثلاثة،دار القلم، ط8، (1420هـ–2000م)، ص: 123.

[3]– دانيال ريغ: رجل استشراق، مسارات اللغة العربية في فرنسا، ت: ابراهيم صحراوي، دار التنوير، ط1 (2008م)، ص195.

وتتشخص في ادوار إنسانية مصورة في تجارب اجتماعية اذ تمثل في البداية كمتعلم راغب في أن يعطي لنفسه كفاءة تضمن نجاح مسعاه ثم كعارف أو عالم، ترجمانا مرة ومترجما أخرى وأستاذا أو ناشرا مرة ثالثة، فيشكل المستشرق وجوده الموضوعي انطلاقا من هذه الصور المتعددة لا لشيء إلا للقضاء على الهوية العربية التي أركانها العقيدة واللغة والثقافة.

وهنا تجدر بنا الإشارة إلى الأطوار التاريخية للنزعة الإستشراقية.

الطور الأول نشأة الفكر الإستشراقي.

"إذ يبتدئ تاريخه منذ أن بدأت الدول الغربية تهتم بالإسلام كحضارة و ثقافة بعد أن حقق انتصارا كاسحا على المسيحية وهدد عواصمها التاريخية وحصونها الثقافية حيث يمكننا أن نلاحظ الآثار الأولى لهذه النزعة من خلال اهتمام الكنيسة بقضايا العقيدة في القران وطرح قضايا فكرية ذات أبعاد عقدية كمسألة خلق القران وصفات الله الوحدانية ثم تطورت هذه الظاهرة من حوار ديني بين علماء الإسلام وعلماء الكنيسة إلى منهج إستشراقي أخذ يبرز في الأندلس[1].

وهذا ما يؤكد أن الدراسات الإستشراقية الأولى إنما نشأت في أحضان الكنيسة و كانت الأندلس هي الموطن الأهم للفكر الإستشراقي الأول.

أما الطور الثاني ظهور العامل الديني في الفكر الإستشراقي:

"ويبتدئ هذا الطور منذ قيام الحروب الصليبية التي أوجدت فجوة نفسية بين الغرب والشرق، فالغرب المسيحي اندفع بقوة وحماسة لتحدي العالم الإسلامي وأن يقيم دولة صليبية في القدس وشعر العالم الإسلامي بالإذلال وسرعان ما فشلت الحملة الصليبية وتركت هذه الفترة التاريخية أثارها في النفس. واتجه الإستشراق اتجاه مغايرا لاتجاهه الأول، فلم يعد

[1]– محمد فاروق النبهان، الاستشراق تعريفه، مدارسه، أثاره، منشورات المنظمة الإسلامية، للتربية والعلوم والثقافة ايسيسكو، (1433هـ–2012م)، ص:16

قاصرا على اقتباس المعارف والعلوم من المدرسة الإسلامية، وإنما اخذ يتطلع بدافع من التعصب لنقد تلك المعارف والعلوم[1].

الطور الثالث بروز المدرسة الإستشراقية الحديثة.

فلم تتوقف حركة الاستشراق عند المرحلة السابقة الذكر بل استمرت وزاد وطيسها أكثر، خاصة مع تطور الحضارة الغربية والاكتشافات العلمية ورغبة الغرب في معرفة الحضارات الأخرى للإفادة منها، فقد"بدا هذا الطور مع تشكيل البدايات الأولى للمدرسة الإستشراقية الحديثة في القرن السادس عشر والقرن السابع عشر"[2] وفي هذه المرحلة كانت النهضة متوفرة، وكان الإنسان الأوروبي خصوصا ذا تواجد استكشافي رهيب فاهتم بالحضارت المبثوثة خاصة الحضارة الإسلامية فقد "اخذ الغرب ويضاعف من اهتمامه بالثقافة العربية و الإسلامية ويطبع الكتب العربية، وينشئ مدارس علومها ويقيم كراسي في جامعات الغرب للاهتمام بالمصادر العربية، كشفا عن كنوز المعرفة في تراثنا في الوقت الذي كان العالم الإسلامي غافلا عن كل ما حوله حيث اتجه الإستشراق لخدمة الثقافة العربية، واستطاعوا أن يصححوا كثيرا من المفاهيم الخاطئة عن هذا التراث"[3].

نشأة الدراسات الصوتية العربية وتطورها:

تتصف اللغة الإنسانية بكونها كلاما منطوقا يتداول مشافهة إذ عرف الإنسان الكلام المنطوق قبل أن يخترع الكتابة باحقاب طويلة وظل مفهوم الأصوات المفردة غائبا حتى توصل الإنسان إلى اختراع الأبجدية، وبعد أن وصلتنا الكتابات الإنسانية القديمة على اختلاف مراحلها ظهر الاهتمام بالظاهرة الصوتية من طرف مختلف الأمم من: هنود

وأوروبيون وعرب، حيث عمد علماء العربية إلى تأسيس حقول معرفية تهتم بالإنسان

[1]– محمد فاروق النبهان، الاستشراق تعريفه، مدارسه، أثاره، منشورات المنظمة الإسلامية، المرجع السابق: ص:18.

[2]– المرجع نفسه: ص:18.

[3]– المرجع نفسه: ص18.

والدراسات اللغوية والمادة الأساسية لهذه العلوم متمثلة في الصوت فأنتجوا مقولات أوليه كأساس لتعقيد العلوم فيما بعد، ولعل الغاية الرئيسة من تأسيس علوم العربية هي الغاية الدينية المتمثلة في الحفاظ على القرآن الكريم سليما صحيحا فصيحا خاليا من العيوب واللحن الذي قد يطرأ عليه من خلال الاحتكاك بالأقوام الأخرى.

حيث نشأ الدرس الصوتي العربي منذ نزول القرآن الكريم وتدوينه فجاءت بواكيره مختلطة بالدراسات اللغوية والنحوية الأولى، فقد اعمل النحويون فكرهم في الجانب الصوتي ودرسوا جوانبه إذا "بدأت محاولاتهم بعمل الخليل بن احمد الفراهيدي فقد كان أول من عرض لهذه الدراسة من فقهاء العرب اللغويين قبل أن يعرفها أهل الأداء والمقرؤون[1]".

وهذا ما أكده المستشرق الألماني برجشتراسر في التطور النحوي: "انه لم يسبق اللغويين في هذا العلم الا قوما من أقوام الشرق وهما أهل الهند والعرب وأول من وضع أصول هذا العلم من العرب: الخليل بن احمد"[2] نفهم أن الدرس الصوتي عند العرب إنما تم التقعيد له على يد الخليل بن احمد الفراهيدي وقد سبق فيه علماء التجويد والأداء القرآني، إذ أحس بضرورة الدراسة الصوتية لفهم أسرار العربية وهذا ما يتجلى في أقواله فيما أملاه على تلميذه سيبويه.

"إذ تشير الرواية إلى أن أول إشارة إلى العلم قد جاءت منسوبة إلى أبي الأسود الدؤلي وقصته مع كاتبه حينما أراد تنقيط المصحف الشريف إذ قال له: (إذا رأيتني قد فتحت فمي بالحرف فانقط نقطة فوقه على أعلاه، فان ضممت فمي فأنقط نقطة بين يدي الحرف وان

[1]- مهدي المخزومي، مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللغة والنحو، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى الباني الحلبي وأولاده، مصر، ط2، (1377هـ-1958م)، ص: 168.

[2]- برجشتراسر، التطور النحوي للغة العربية، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط4، (1423هـ، 2003م)، ص:11.

كسرت فاجعل النقطة تحت الحرف فان اتبعت شيئا من ذلك غنة فاجعل مكان النقطة نقطتين)"[1]

وهذا في معنى القول أن الدرس الصوتي العربي لم ينشا كعلم مستقل في مرحلته الجنينية الأولى بل نجده محتوا في النظام النحوي إذن فمحاولة أبي الأسود الدؤلي تدل على أن الفكر اللغوي العربي قد تنبه منذ فترة مبكرة جدا إلى أهمية الصوت. في اللغة الإنسانية حيث يشير احمد مختار عمر لهذه الفكرة فيقول: "بالنسبة للنحاة خصصوا بعض الأبواب في كتبهم النحوية لهذه الدراسة حيث اعتبروها تمهيدا أو مدخلا لدراسة ظاهرة الإدغام وقد عالج سيبويه الأصوات في نهاية مؤلفه قبل معالجه الإدغام[2]" و لم يكن علم الأصوات مختلطا بالدراسة النحوية فحسب بل نجده متناولا في دراسات متعددة كثيرة، "كأصحاب المعاجم الذين تناولوا بعض المشكلات الصوتية.

أما في مقدمات معاجمهم أو في ثنايا المادة اللغوية ويبدو الاهتمام بهذا النوع من الدراسة في المعاجم التي رتبت صوتيا واتبعت نظام التقليبات كالعين للخليل[3]. ويعد معجم العين للخليل أول معجم رتب ترتيبا صوتيا حيث صنفه ورتب فيه الحروف بحسب مخارجها إلى مجموعات تبدأ بالمجموعة الحلقية التي أولها أعماق حروف الحلق وهو العين فقد أحس الخليل عندما فكر في وضع أول معجم في اللغة العربية بحاجته إلى اختيار نظام معين يصلح أن يكون مدخلا يرتب على أساسه هذا المعجم وبهذا اتبع منهجا جديدا مغايرا للمناهج السائدة عند علماء اللغة حيث تناول الخليل في مقدمة العين مشكلات صوتية عديدة إذا تحدث: "عن ترتيب الحروف ترتيبا صوتيا اعتبار الراء واللام والنون ذات وضع خاص وتسميتها بحروف الذلاقة تصريحه بان حروف الذلاقة الستة أسهل من غيرها في النطق الحديث عن مخارج الأصوات تفصيلا.

---

[1] احمد حساني، مباحث في اللسانيات، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط (1999)، ص:61.

[2]– احمد مختار عمر، البحث اللغوي عند العرب، عالم الكتب، القاهرة، ط6، (1988م)،ص:93.

[3]– المرجع نفسه، ص:94.

وقد سار الخليل في أبجديته على النحو التالي:

ع- ح- هـ- خ- غ- ق ك- ج ش ض- ص س ز- ط د ت- ظ ث ذ- ر ل ن- ف ب م و- ا ي همزة"[1].

أما بالنسبة للدرس الصوتي كعلم مستقل فيظهر أكثر جلاء عند علماء التجويد والقراءات القرآنية، فقد أسهموا بقدر لا يجحد "فخصصوا للمباحث الصوتية المتعلقة بالقران الكريم كتبا مستقلة ولعل بداياتها كانت في القرن الرابع الهجري على يد أبي مزاحم الخاقاني الذي نظم قصيدة في حسن أداء القرآن[2] ، وهذا في معنى القول أن مصطلح الصوتيات لم يكن معروفا لانعدام الدرس الصوتي المستقل، فعالج علماء العربية القدامى مادة الأصوات في سياق علوم شتى كتجويد القران والصرف والنحو واللغة ولعل قيمة الفكر اللغوي بشكل عام والصوتي بشكل خاص نجدها بصورة واضحة عند ابن جني في كتابه سر صناعة الإعراب حيث يعد"أول من افرد المباحث الصوتية بمؤلف مستقل ونظر إليها على أنها علم قائم بذاته حيث تناول فيه: عدد حروف الهجاء وترتيبها ووصف مخارجها، بيان الصفات العامة للأصوات و تقسيمها ما يعرض للصوت في بنية الكلمة من تغيير. ونظرية الفصاحة في اللفظ المفرد ورجوعها إلى تأليفه من أصوات متباعدة المخارج حيث وصف فيه جهاز النطق عند الإنسان، الحلق والفم مشبها إياه بالناي[3].

حيث يقول في ذلك"... شبه بعضهم الحلق والفم بالناي، فإن الصوت فيه يخرج مستطيلا أملس ساذجا كما يجري الصوت في الأنف غفلا بغير صنعة،فإذا وضع الزامر

[1]- المرجع السابق: ص: 115.

[2]- غاني القدوري الحمد، المدخل إلى علم أصوات العربية، دار عمار، ط1، (1425هـ-2004م)، ص:10.

[3]- احمد مختار عمر، البحث اللغوي عند العرب، عالم الكتب، القاهرة، ط6، (1988م) ص:100.

أنامله على خروق الناي المنسوقة وراوح بين أنامله اختلفت الأصوات وسمع لكل خرق منها صوت لا يشبه صاحبه[1].

فهناك من الدارسين من يقر بان ابن جني كان أول من فطن إلى قيمة جهاز النطق في إحداث الأصوات. فشبهه بالناي لتوضيح عمليه إنتاج الكلام وتقسيم أصواته بحسب مخارج النطق إلى صوامت وصوائت. كما يشير ابن سينا في "كتابه أسباب حدوث الحروف إلى قضايا جوهرية تتعلق بالجانب العضوي والفيزيائي للصوت يظهر ذلك في تفسيره للأصوات اللغوية ووصفها يستمد دلالته من المحيط الطبيعي[2].

ومن المسلم به أن كل هؤلاء العلماء وغيرهم ممن عالج المسائل الصوتية قديما لم يكن اعتمادهم في ذلك على جهاز أخر غير قوة الملاحظة والدقة ورغم قله دراساتهم غير أنها لا تزال تعد مفخرة في ميدان الصوتيات العربية ولعل من واجب الباحثين والدارسين اليوم الاهتمام بهذا التراث ولفت النظر إليه ونفض الغبار عنه وليطلع عليه المهتمون من الأجيال القادمة "وتتفاوت الكتب المؤلفة في علم الأصوات العربية في العصر الحديث في الدراسة الصوتية العربية القديمة فمنها ما يحس القارئ فيه انه ترجمة حرفية من كتب علم الأصوات الغربية ومنها ما خلط بين المصادر القديمة والمصادر الحديثة لكن أكثر المؤلفين يعطون مصادر الدرس الصوتي الغربي مساحه اكبر في كتبهم حيث نشأت دراسة أصوات العربية في عصرنا على أيدي المستشرقين أولا ثم على يد الباحثين العرب بعد ذلك"[3] نستشف من خلال قول الباحث اللامبالاة وعدم اهتمام الباحثين المعاصرين بالتراث اللغوي بصفه عامه

[1]– ابوالفتح،عثمان بن جني،سر صناعة الاعراب، تحقيق مصطفى السقا، ج1، (1954م)، ص:10.

[2]– احمد حساني، مباحث في للسانيات، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط(1999م)، ص:61.

[3]– غانم قدوري الحمد: المدخل إلى علم أصوات العربية، دار عمار، ص1، (1425هـ–2004م)، ص:12.

وبعلم الأصوات بصفة خاصة والدليل أنهم ينقلون عن الدرس الصوتي الغربي أكثر من رجوعهم للتراث ويؤكد ذلك أيضا سبق المستشرقين إلى دراسة علم الأصوات قبل أن يدرسه أهله.

الفصل الأول
دراسات المستشرقين الألمان للدرس الصوتي العربي

المبحث الأول: وسائل الاستشراق:

استخدم المستشرقون وسائل عديدة ومتنوعة بغية تحقيق أهدافهم فلجؤوا إلى:

1- نشر المقالات:

"إذ نشر المستشرقون المقالات في الصحف المحلية للبلاد العربية والإسلامية، وقد استطاعوا ان يستأجروا عددا من هذه الصحف لنشر مقالاتهم والترويج لأفكارهم"[1] ومنه إثبات وجودهم وفرض ثقافاتهم وعاداتهم على الشعوب الشرقية الإسلامية.

2- تأليف الكتب:

"لقد تعددت مجالات التأليف في الدراسات العربية والإسلامية لدى المستشرقين، وبلغ عدد ما ألفوه عن الشرق في قرن ونصف "منذ أوائل القرن الثالث عشر هجري، حتى منتصف القرن الرابع عشر هجري، ستين ألف كتاب فقد ألفوا الكتب في موضوعات مختلفة في تاريخ العرب والمسلمين، ومجتمعاتهم وحضارتهم، في علم الكلام، وفي الفلاسفة والتصوف الإسلامي، وفي تاريخ أدب اللغة العربية،... ولم يتركوا مجالا من مجالات العلوم العربية والإسلامية الا وألفوا فيه. ولم يكتف المستشرقون بتأليف الكتب، بكل كان لهم باع طويل في مجال المعاجم والقواميس اللغوية، فقد أنجزوا أول قاموس لاتيني عربي في القرن السادس هجري[2]"

[1]- الزيادي محمد فتح الله، ظاهرة انتشار الإسلام، وموقف بغض المستشرقين منها، ص:99.

[2]- ينظر: نجا، وآخرون، نور الإسلام، وأباطيل الاستشراق، دار الإيمان، طرابلس، لبنان، ط1، (1413هـ-1993م)، ص:166-167.

3- إصدار المجلات:

أصدر المستشرقون مجلات علمية تحتوي الكثير من البحوث حول الشرق، "وأشهر تلك المجالات مجلة الجمعية الأسيوية الملكية بلندن، ومجلة الجمعية الشرقية الأمريكية، ومجلة جمعية الدراسات الشرقية"[1]

4-المؤسسات العالمية:

حيث اهتم الغربيون كثيرا بهذا الجانب، ويقصد بالمؤسسات العالمية "إرسال إرساليات التبشير إلى العالم الإسلامي لتزاول اعملا إنسانية في الظاهر كالمستشفيات والجمعيات والمدارس والملاجئ ودور الضيافة كجمعيات الشبان المسيحية واشباهها"[2].

وهذا يعني ان وجدودهم باختلاف صفاتهم ووظائفهم داخل الشرق، لم يكن يعبر عن صدق نياتهم، مثال ذلك الاستشراق الفرنسي الذي وجد نفسه يدخل في شبكة من العلاقات مع العالم العربي أعادت النظر في ظروف وجوده، بخلاف الاستشراق الألماني الذي كان دائما مطبوعا وبقوة، بتقاليد الدراسات الأجنبية المشبعة بروح الإصلاح، والذي لم يشكل حضور الشرق بالنسبة له الظاهرة الاجتماعية والسياسية الشاغلة في كل الأوقات،"وهناك نسبة كبيرة من المستشرقين الفرنسيين تم تكوينهم مباشرة في مؤسسات عليا: في مدرسة اللغات الشرقية الحية"[3]

5- عقد المؤتمرات والندوات وإلقاء المحاضرات وإنشاء الجمعيات:

"فقد شهد القرن الثالث عشر هجري، بداية عقد المؤتمرات الدولية للمستشرقين، وقد أتاحت هذه المؤتمرات للمستشرقين الفرصة لزيادة التنسيق وتوثيق أواصر التعاون، والتعرف

---

[1]- الزيادي، محمد فتح الله، ظاهرة انتشار الإسلام وموقف بعض المستشرقين منها، المنشاة العامة، طرابلس، ط1 (1392-1983م)، ص: 96.

[2]- السباعي، مصطفى، الاستشراق والمستشرقون ما لهم وما عليهم، ص:34.

[3]- دنيال ريق، رجل الاستشراق، مسارات اللغة العربية في فرنسا،ت:إبراهيم صحرواي دار التنوير، ط(2008م)ص:50.

بصورة مباشرة على أعمال بعضهم بعضا، وتجنب ازدواج العمل، حرصا على تجميع الجهود وعدم تبديدها في أعمال مكررة. وإلقاء المحاضرات في الجامعات والجمعيات العلمية، ومن المؤسف أن أشدهم عداء للإسلام كانوا يستدعون إلى الجامعات العربية والإسلامية في القاهرة ودمشق وبغداد ليتحدثوا عن الإسلام"[1]

"وبدا المستشرقون في النصف الأول من القرن الثالث عشر هجري في مختلف بلدان أوروبا وأمريكا بإنشاء جمعيات لمتابعة الدراسة الاستشراقية وقد تأسست أولا الجمعية الأسيوية في باريس 1271هـ- 1822 م والجمعية الشرقية الألمانية عام 1294هـ-1845م[2].

والى جانب الوسائل السابقة فقد لجا المستشرقون الى وسيلة أخرى أكثر مما اعتمدوا على سابقاتها.

المبحث 2 : المدرسة الألمانية و أهم مستشرقيها:

تعددت مدارس الإستشراق و تباينت، وقد اختلف الباحثون في تصنيف هذه المدارس ذلك أن معظم المستشرقين قد كتبوا في موضوعات متداخلة، وليس من اليسير على الباحث أن يكون دقيقا في تصنيفه لصعوبة، تحديد اتجاهات المستشرقين الذين يختلفون اختلافا بينا في مناهجهم واتجاهاتهم وميولهم، ولهذا اتجه بعض الباحثين إلى تصنيف المدارس الإستشراقية بحسب انتماءات أفرادها، فهناك المدرسة الفرنسية، والمدرسة الانجليزية،و المدرسة الألمانية، والمدرسة الايطالية، والمدرسة الاسبانية، والمدرسة الأمريكية،و المدرسة الروسية، لكننا سنكتفي بالتفصيل في المدرسة الألمانية لأن بحثنا يختص بعالم من علمائها وقبلها المدرسة الفرنسية لأنها سبقت الإستشراق الألماني:

[1]- ينظر: نجا، فاطمة هدى، نور الإسلام، وأباطيل الاستشراق، ص: 162.

[2]- السباعي، مصطفى، الاستشراق والمستشرقون ما لهم وما عليهم، ص:34.

1- المدرسة الفرنسية:

تعد المدرسة الإستشراقية في فرنسا من ابرز المدارس الإستشراقية، وأغناها فكرا و أخصبها إنتاجا، و أكثرها وضوحا، ويعود سبب ذلك العلاقات الوثيقة التي تربط فرنسا بالعالم العربي والإسلامي، قديما وحديثا، وكانت فرنسا موجودة في معظم علاقات العرب بأوروبا في حالات السلم والحرب، وكانت على علاقة وثيقة بدولة الخلافة العباسية في أيام شارلمان والرشيد وشاركت في الحروب الصليبية، وغزا نابليون مصر واحتلت فرنسا المغرب العربي فهذا التاريخ المتواصل، جعل فرنسا من أوائل الدول الأوروبية التي عنيت الدراسات العربية والإسلامية للاستفادة منها وترجمة أثارها وإنشاء كراس علمية لتدريسها منذ القرن الثاني"[1]. ومنذ وقت طويل أنشأت كراس في المعاهد والجامعات الفرنسية لدراسة اللغات الشرقية ويوجد في مكتبة باريس الوطنية أكثر من سبعة ألاف مخطوط عربي ونوادر من الآثار الإسلامية من نقود وأختام وخرائط واستطاع الأدب العربي أن يؤثر في الأدب الفرنسي وانتشرت بعض الكتب الأدبية العربية في فرنسا كما تأثر بعض المفكرين الفرنسيين بما اطلع عليه من تراث العرب وفلسفتهم من أمثال ابن رشد وابن خلدون، واستعملوا كثيرا من المصطلحات الدينية التي كانت سائدة في التراث العربي الإسلامي"[2]

"نجد نسبه كبيره من المستشرقين الفرنسيين تم تكوينهم مباشره في مؤسسات عليا: في مدرسة اللغات الشرقية الحية ومع ذلك فان التعليم ما هو سوى مظهر من مظاهر الحركة الإستشراقية ذلك انه لا يمكن اعتبار تعليم مادة متخصصة (العربية) نوعا من الكشف عما يجول بذهنية شعب"[3].

---

[1]- ينظر: محمد فاروق النبهان، الاستشراق تعريفه، مدارسه، اثاره، منشورات المنظمة الاسلامية لتربية، والعلوم والثقافة، ايسيسكو، (1433-2012م)،ص:22.

[2]- المرجع السابق: ص:23.

[3]- دنيال ريقن رجل الاستشراق، مسارات اللغة العربية في فرنسا، ت: إبراهيم صحراوي، دار التوير، ط1 (2008م)،ص:51.

حيث يقول احد المستشرقين الفرنسيين: "هنا إذن في قاعات الدروس المفتوحة على الشارع في الجزائر والبعيدة عن المدرجات الملبدة والمطمئنة التي يتردد فيها صوت المعلم ويصل إلى مستمعين منبهرين"[1] وهذا في فحوى القول أن المستشرق الفرنسي لم يكن اهتمامه وتعلمه للغة العربية غاية في حد ذاتها إنما بدافع سياسي (الاستعمار الفرنسي للجزائر) ومنه التطلع والأخذ من ثقافة العرب مباشره في الميدان عن طريق الاحتكاك بالعرب أنفسهم لذلك يؤكد قوله بقول أخر فيقول:" بموقعنا وسط الأحداث تحصلنا على تقدير غيّر على أكثر من صعيد الأفكار التي جئنا بها من أوروبا والتي كان علينا استعمالها"[2].

"بكل جوانبها وأشكالها وتحليلها وتبيانها لكن هذا التغير تزامن وتأكيد دقة وجودة المبادئ التي تلقيناها لا احد يجهل أن الأمور تختلف لما ترى عن قرب عنها لما ترى عن بعد، أو كما تدرس تقليديا"[3] إذن نخلص إلى أن نظرة المستشرقين الفرنسيين وأفكارهم التي تعلموها في المدارس الإستشراقية الأوروبية عن اللغة العربية اختلفت وتغيرت في أذهانهم عنها لما تواجدوا في الوسط العربي الإسلامي، فكان النظر واضحا لجل الأفكار والعادات والعقائد.

حيث يعود سبب الدراسة المعمقة للغة العربية من طرف المدرسة الفرنسية بغيه الوصول إلى السيطرة على أداة التبليغ هذه فلم يقفوا عند مبادئ عامة ونظرية حول عمل النحو الذي لا يفسر إلا أمور واقعة ولا ضرورة له إلا بعد الممارسة فقد تم التعلم النظري والتطبيقي للغة العربية بشكل متميز وبراغماتي.

[1]– المرجع نفسه: ص: 168.

[2]– المرجع نفسه: ص168.

[3]– المرجع السابق، ص: 168.

2- أهم المستشرقين الفرنسيين وبعض أعمالهم المتخصصة:

2-1- البارون سلفستر دي ساسي (1758 – 1838م)

لديه منتخبات عربية بالعربية والفرنسية (1806م) والنحو العربي في جزئين (1810م) وكان مكلفا بالمخطوطات الشرقية في مكتبه باريس الوطنية وكتب عن قدماء العرب واهتم بكتب القزويني ولخصة بعض الكتب العربية وكتب عن تاريخ مصر وعرب الحجاز، وكان من مؤسسي الجمعية الأسيوية ورئيسا لها وكان من ابرز المستشرقين في عصره.

2-2- البارون دي سلان(1801 1878)

وكان من تلاميذ دي ساسي واهتم بدراسات المغرب ونشر ديوان امرؤ القيس

وترجم لبعض المشهورين في الإسلام وصنف عن البربر والأسر الإسلامية ونشر منتخبات من تاريخ مصر[1].

2-3- كوسين دوبرسوفال:

أستاذ الدارجة بالمدرسة الملكية للغات الشرقية له مؤلف قواعد العربية الدارجة متبوع بحوارات ورسائل وعقود من كل نوع.

2- 4- ماكس ميلر:

مستشرق وميثولوجي ألماني طبع في باريس دروس السنسكريتية من مؤلفاته: دروس حول علم اللغة ترجمه إلى الفرنسية عام 1864 م، ودروس جديدة حول علم اللغة، ترجمة إلى الفرنسية سنة 1867 م"[2].

---

[1]- محمد فاروق النبهان، الاستشراق تعريفه، مدارسه، أثاره، منشورات المنظمة الإسلامية، للتربية والعلوم والثقافة، ايسيسكو (1433هـ-2012م)،ص:24.

[2]- دنيال ريغ، رجل استشراق، مسارات اللغة العربية فرنسا،ت: ابراهيم صحراوي، دار التنوير،ط1،(2008م)، ص: 135.

3- المدرسة الألمانية:

بدأ الإستشراق الألماني كصراع ديني، وقد دعت ترجمة الكتاب المقدس -بعهديه- من اللغات الشرقية إلى اللاتينية إلى اقتناء المخطوطات العربية والعبرية ودراسة قواعد لغات الشرق، حيث ظهر في ألمانيا من رجال الكنيسة من حاول اصطناع أدوات لمكافحه الإسلام أكثر فاعليه من تشويهه كأعمال مارتن لوثر عن الإسلام والترك في مطلع القرن السادس عشر.

إذ يتفق اغلب مؤرخي الإستشراق الألماني على أن بداية الدراسات العربية في ألمانيا كانت في أواخر القرن السادس عشر الميلادي. غير أنها وصفت بالبدايات المتواضعة خلال القرن السابع عشر الميلادي كان الاهتمام بالعربية في ألمانيا اقل بكثير عما كان عليه في هولندا وايطاليا وفرنسا وانجلترا. ذكر رجل يقلد المخطوطات العربية والدعم المالي، وكان على المهتمين بالعربية من الألمان السفر إلى هذه البلدان لدراسة فيها والتعمق بأسرارها[1].

أما القرن الثامن عشر الميلادي فيمثل تحولا مهما، للحركة الفكرية والفنية والأدبية في ألمانيا بفضل التنوير والحركة الرومانسية والإصلاح الديني والانفتاح السياسي حيث تطورت دراسة العربية، وخرجت عن التوظيف اللاهوتي وظهور تحمس لكل ما هو شرقي، إذ دأب المستشرقون الألمان على تطوير دراساتهم وتنويع مصادرهم كالمخطوطات والآثار وتراكم البحوث، حيث ازدهرت الدراسات اللغوية وتنامت بسرعة في منتصف القرن التاسع عشر من عمره الإستشراق الألماني ومما سرع في تطور الإستشراق حينها ما شهدته أوروبا ولاسيما ألمانيا الثورتين المعرفية والصناعية وكذلك انفصال الإستشراق الألماني شبه التام عن اللاهوت وتركه الآراء المسبقة والاعتراف بمكانة الشرق لرسم صورة موضوعية له[2].

---

[1]- عبد الحسن عباس حسن الجمل الزويني، البحث اللغوي في دراسات المستشرقين الألمان، جامعة الكوفة، كلية الآداب، (1431هـ-2010م)، ص:7.

[2]- المرجع السابق: ص:8.

"تعتبر المدرسة الألمانية الأبرز في الدراسات الإستشراقية"[1]. فهي تتميز بالجدية والصرامة والدقة وعمق البحث وسعة المعرفة، "وساهم المستشرقون الألمان بجهد كبير في خدمة التراث العربي الإسلامي، وأثارهم العلمية واضحة الدلالة على تمييز المدرسة الإستشراقية بالتزام المنهجية العلمية"[2].. لذلك نجد أن دارسي الإستشراق في أوروبا تأثروا بأعلام تلك المدرسة وأبرزهم (آن ماري شيمل) و (كارل بروكلمان).

4- خصائصها:

- بدأ الإستشراق الألماني متأخرا عن المدرسة الأوروبية حيث لم تكن بداية الإستشراق الألماني الحقيقية إلا في أوائل القرن الثامن عشر الميلادي عندما قصد نفر من الألمان هولندا حيث تعلموا اللغات الشرقية.

- تشير المصادر إلى أن بداية علاقة الألمان بالعالم الشرقي كانت في القرن السابع عشر أثناء حرب الثلاثين مجموعة حيث أرسل أربعة وثلاثين رجلا إلى فارس وروسيا كي تتحالف مع إمبراطور فارس ضد الأتراك، ودامت الرحلة خمسه أعوام ولم تحقق الغرض الحربي إلا أنها حققت تواصلا ثقافيا مهد للدراسات الإستشراقية الألمانية.

_ يعود الفضل للمدرسة الألمانية في صك مصطلح(الإستشراق الجديد) الذي يعكس مذهبا جديدا لدراسة العالم الإسلامي والعلاقات بين الهوية الإسلامية والهوية الغربية[3].

- يمثل الإستشراق الجديد في ألمانيا تحديدا إعادة تأهيل للنظريات الإستشراقية الكلاسيكية على تشجيع العودة إلى قراءة موضوعية للمجال الإسلامي، خاصة انه معروف عن الدراسات الألمانية جديتها و موضوعيتها الصارمة المعتمدة على أساليب البحث العلمي.

---

[3]- إبراهيم عادل، المدرسة الألمانية ومصطلح الاستشراق الجديد، مجلة الحوار، اليوم: الاحد 09-06-2015، الساعة: 00.02.

[2]- النبهان محمد فاروق، الاستشراق تعريفه، مدارسه، اثاره، منشورات المنظمة الاسلامية للتربية والعلوم والثقافة، ايسيسكو (1433هـ-2012م)ص:32.

[3]- ينظر: إبراهيم عادل،المدرسة الألمانية ومصطلح الاستشراق الجديد.

– يتميز الإستشراق الألماني أيضا عن غيره من البلدان الأوروبية بالاهتمام بالدراسة المقارنة للغات السامية مقارنه بين العربية وغيرها من اللغات السامية الأخرى الآرامية والعبرية والسبئية.

– ركز الإستشراق الألماني في القديم بصوره أساسية على الأبحاث التقليدية ودراسة التاريخ وعلوم اللغة العربية وفقهها، لكن بفضل التقدم التقني الهائل الذي حققته وسائل الاتصال

والبث الإعلامي والمعلوماتي، فقد انعكس هذا التقدم على اهتمامات الجيل الجديد من المستشرقين الألمان

بدئوا بمتابعة التطورات السياسية والاقتصادية والاجتماعية في البلاد العربية، أضف إلى ذلك الاهتمام المتزايد بالآداب الحديث والدراسات اللغوية المعاصرة.

– واهم خصائص هذه المدرسة عدم ارتباط الإستشراق بأهداف سياسية ودينية،أو استعمارية.

– غلبت الروم العلمية والإنصاف على توجهات هذه المدرسة.

– تعدد مجالات البحث وشموليتها لفروع المعارف الشرقية" آداب– لغة– تاريخ جغرافيا– فنون ...الخ".

– الاهتمام بعلم الببيلوجرافية، وفهرسة المخطوطات وتصنيف وتحرير المعاجم العربية[1].

– نجد أن المستشرقين الألمان لديهم مناهج يستخدمونها في أبحاثهم الجزئية لكننا نفتقد منهجا كليا للاستشراق نفسه.

– تحول الكنائس في ألمانيا إلى مزارات سياحية.

– الإستشراق الألماني يمتاز بالموضوعية والعمق، وساهم الألمان أكثر من غيرهم بجمع ونشر وفهرسة المخطوطات العربية وخصوصا كتب المراجع والأصول المهمة، ومن أهم ما

[1]– ينظر: إبراهيم عادل، المدرسة الألمانية ومصطلح الاستشراق الجديد.

قاموا به وضع المعاجم العربية معجم، فرايتاج (1788-1861م)، المعجم العربي اللاتيني في أربعة أجزاء والقاموس الضخم للغة العربية الفصحى الذي عمل عليه اولمان (1931م). واستغرق العمل عليه مائة سنة ونيفا[1].

- تمتاز المدرسة الألمانية أن بعض من أساتذة الإستشراق الألماني البارزين قاموا بالتدريس في بعض الجامعات العربية وخصوصا جامعه القاهرة أمثال: ليتمان برجشتراسر

وارتورشاده وشاخت كما عين بعض المستشرقين الألمان أعضاء في مجامع اللغة العربية[2].

المبحث:3 أهم كتابات المستشرقين في الدرس الصوتي العربي:

1- اسهامات المستشرق الالماني ارتور شادة في الدرس الصوتي العربي

نجد من المستشرقين الألمان الذين اشتهروا كثيرا بدراساتهم اللسانية للمدونات العربية ارتور شاده، هذا المستشرق الذي ولد في 19 أوت (1883م) بمدينه تورن غرب روسيا وتعلم في مدارسها ثم مواصلة دراسته العليا في جامعات ميونخ وبرلين ثم تحول إلى دراسة اللغات الشرقية: الفارسية والتركية وجذبته دراسة اللغة العربية خاصة ومن ابرز أساتذته اوغست فيشر وقد ساهم الأستاذ أ.شاده ما بين (1906- 1910م) في تحرير المادة العلمية للموسوعة الإسلامية وفي الوقت نفسه عمل محاضرا للغة العربية في الجامعة[3].

قدم بحثا صغيرا، لكنه دقيق، وكان سباقا في زمانه، حيث كتب رسالة مهمة سنه 1931 حول الصوتيات عند سيبويه، التي كانت موضوع أطروحتة لنيل درجه الأستاذية بعنوان (علم

[1] ينظر إبراهيم عادل، المدرسة الألمانية ومصطلح الاستشراق الجديد.

[2]- ينظر: إبراهيم عادل، المدرسة الألمانية ومصطلح الاستشراق الجديد

[3]- ارتور شاده، علم الأصوات عند سيبويه وعندنا، مراجعة: صبيح حمود التميمي، مجلة آداب الرافدين، العدد 58 (1432هـ-2010م)، ص:8.

الأصوات عند سيبويه) ، وفي أثناء عمله في مصر لخص هذا الموضوع بمحاضرة هي أصل مادة هذه الرسالة وسماه **بـ**(علم الأصوات عند سيبويه وعندنا)[1]

فقد تكلم ارتور شاده في البداية عن علم الأصوات عند العرب قديما فذكر الخليل وسيبويه واهم ما جاء به كل واحد منهما، وتحدث عن مؤلفاتهما، ومن أهم المحاور التي وردت في هذه الرسالة:

1 – حديثه عن الخليل وسيبويه وجهودهما في الصوتيات العربية مركزا اهتمامه بجل القضايا التي تناولها سيبويه في الكتاب تحت باب الإدغام،معطيا رأيه فيها، كما أورد رأي الدارسين المحدثين فيه، فكان مادحا تارة و ناقدا تارة أخرى باختلاف القضايا الصوتية، وقد جاءت محاضرته مقسمة حسب القضايا المتناولة فيها، حيث استهل نصها بعرض قضية:الأصوات أساس الدراسات اللغوية إذ يرى في هذه القضية أنها أساس كل دراسة لغوية إنما هو علم الأصوات لان هناك ظواهر صرفيه ونحويه لا يمكن تفسيرها ما لم نقف على النظم الصوتية. ويؤكد ارتور شاده أن هناك تشابك في مستويات الدرس اللغوي وهو أمر لم يغب عن فكر النحاة العرب، إذ لم ينظروا إلى الدراسة الصوتية هذه النظرة المستقلة، وإنما تناولوها مختلطة بغيرها من الدراسات النحوية والمعجمية والصرفية وغيرها.

"وتعد الأصوات أول خطوة في إي دراسة لغوية لأنها تتناول اصغر وحدات اللغة، وهي الصوت الذي هو المادة الخام للكلام الإنساني"[2].

حيث يؤكد ارتور شاده أنه لا فائدة من دراسة المفردات والصرف والنحو إلا بعد معرفه الصورة النطقية السليمة لأصوات بنية اللغة الهادفة، إذ هناك الكثير من التغيرات الصرفية نجدها مبنية على أسس صوتية، وهناك ظواهر نحوية لا يمكن تفسيرها إلا بعد أن نقف على

[1]– المرجع السابق:ص:9.

[2]– احمد مختار عمر، البحث اللغوي عند العرب، عالم الكتب، القاهرة، ط06، (1988م)، ص:75.

النظم الصوتية، مثلما تحدث المستشرق الألماني عن قضيه مهمة في الدرس الصوتي وهي كيفيه إحداث الأصوات اللغوية:

إذ يتساءل، ما هي الأصوات؟ وكيف تنتج؟، مجيبا أن الأصوات اللغوية هي الرواة السمعية إنما تحدث على مستوى الجهاز النطقي الذي يصدر الصوت، والذي يبدأ من الصدر وينتهي بالشفتين، فعندما يستعد الإنسان للكلام يستنشق الهواء فيمتلئ صدره به، وعن طريق التعاون الذي يتم بين أجزاء الجهاز النطقي(الجهاز التنفسي الحنجرة والتجاويف الرنينية) تنتج موجات صوتيه كلاميه تنتقل إلى أذن السامع عبر وسيط فيزيائي كالهواء، فلا يحدث الصوت إلا بعاملان هما: النفس والعارض فهذا ما أورده سيبويه في الكتاب من خلال دراسته ارتور شاده وقد سبقه إلى ذلك ابن جني، عندما قال:" اعلم أن الصوت عرض يخرج مع النفس حتى يعرض له في الحلق والفم والشفتين"[1].

فالنفس هو الهواء الخارج من الرئتين أما العارض هو نوع من الاحتكاك في الحنجرة أقصى الحلق عند القدماء.

وتعتبر الحنجرة أهم أعضاء النطق لاحتوائها على الوترين الصوتيين وهما أهم أجهزه التصويت لدى الإنسان.

أما بالنسبة لقضية جهود الشعوب القديمة في الدراسات الصوتية، فيرى فيها الباحث الألماني أن "علم الأصوات علم اهتمت به جل شعوب العالم في الزمان متفرقة غير أنهم لم ينجحوا في كلهم فتراوحت دراساتهم بين البسيط والمتكامل إلى حد ما"[2]، حيث يؤكد انه لم يكن هناك إلا شعبان من الشعوب القديمة قد بحث في الصوتيات بطريقه عميقة وهما الهنود والعرب وهذا ما ذهب إليه قبله المستشرق الألماني برجيشتراسر، كما يشير شاده إلى أن الهنود سبقوا العرب في وصف الأصوات مخالفا في ذلك زعم بعض المستشرقين بقولهم أن

[1]- أبو افتح عثمان بن جني، سر صناعة الأعراب، المكتبة التوفيقية، ط1، د.ت.ج1، ص06.

[2]– ارتور شاده: علم الأصوات عند سيبويه المرجع السابق: ص:16.

العرب اقتبسوا علم الأصوات من الهند، مؤكدا أن العلماء العرب قد خالفوا مذهب الهند في نقاط مهمة الاختلاف في ترتيب الأبجدية اختلافا كبيرا أو العربية على الأصوات المفردة في ترتيب الأبجدية، مثل (ب–ت–ث). مخالفين اعتماد الهنود على المقاطع نحو (با–خا–حا).

اخذ في رأيه بأفكار المستشرق الألماني بروكلمان الدكتور محمود حجازي بان العرب جاءوا بهذا العلم بأنفسهم ولم يقتبسوه من أي شعب غيرهم والباعث القوي والأكيد في أشكال هذا القلم حسب رأي شاده إنما كان القرآن الشريف حيث يفصل فيقول: "إن حدوث علم الأصوات عند العرب مقرون بنشوء علم التجويد"[1] ذلك من اجل ضمان حسن أداء تلاوة القران الكريم وهذا ما يؤكده هنري فليش بقوله: الاهتمام بالدراسة الصوتية في مرحله متأخرة اختص بها علماء التجويد والأداء القرآني،

وكل هذه الأقوال التي أدلى بها بعض من المستشرقين الألمان ما هي إلا شهادة غيرنا بأصالة التراث الصوتي العربي، حيث يصرح بروكلمان "ولا تأثير للهند في علم الأصوات كمال زعم فلولرز وإن وجدت بعض المشابهة العارضة اتفاقا من طريقة البحث*"[2]. وقد استشهد الباحثون بآراء الأجانب حتى لا يوصف العالم بالتعصب بالعربية إن كانت آراء العرب وعلى نفس المنوال يذهب أحمد مختار عمر إلى إثبات أصالة الدرس الصوتي العربي حينما قال:" وقد يتشابه العملان أو يتطابقان ويضل كل منهما أصيلا في ذاته بل إن كثيرا

[1] احمد مختار عمر، البحث اللغوي عند العرب، عالم الكتب، القاهرة، ط6، (1988م).ص: 343

*–وهذا ما يثير قضية التأثر والتأثير، حيث هناك أدلة على عدم التأثير بين الهنود والعرب في الدرس الصوتي، نذكر منها: لا وجود لمصلحات هندية في الدرس الصوتي العربي كالمهموس والجمهور– علماء الهند أعمق أعضاء المخارج عندهم هو الرئتين والحبليين الصوتيين، أم عند العرب فأعمق المخارج هو الحلق – بدا الخليل الترتيب بالصوائت ثم الصوامت على عكس الدرس الهندي

[2]– المرجع، نفسه، ص: 341.

من الأحكام التي أطلقت وبخاصة في قضيه التأثير والتأثر قد أثبتت الأيام خطاها ومنها ما يتعلق تحديدا بالهنود والعرب"[1].

2- دراسة المستشرقين للغة العربية ولهجاتها القديمة والحديثة:

تناول المستشرقون بالدرس والتحليل، اللغة العربية الفصيحة ولهجاتها، القديمة والحديثة فقدموا دراسات لغوية لم تكن معروفة من قبل في الأوساط العربية معتمدين في أبحاثهم أساسا نظرية ومنهجية جديدة " فأما اهتمامهم بالعربية الفصحى فلكونها تشتمل على عناصر لغوية قديمة بسبب وجودها في مناطق منعزلة عن العالم ومما يتوفر عليه من عقبات وتغيرات يكثر حدوثها وتختلف نتائجها بشكل مستمر، ولتوفرها على ظواهر لغوية تنفرد بها وحدها دون غيرها من أخواتها السامية.

ويتجلى من حديث المستشرقين عن العربية الفصحى أنها تتشكل من مستويات تراثية تتفاوت في درجات تقاربها واختلافها، واللغة العربية حسب واتسون تتكون من:

- لغة الطبقات المفكرة، التي لم تكن بعيدة جدا أو مختلفة عن لغة العامة وأصحاب اللهجات المختلفة في شمال الجزيرة.

- ولغة القرآن التي تمتاز عن العامة.

- واللغة العربية الفصحى عند برجشتراسر قديمة وحديثة إضافة إلى عربية القرآن، دون ذكره للفرق بين العربية القديمة والحديثة.

ويقترن كلام المستشرقين عن اللغة العربية بلغة القرآن وأهميته في استمرارية اللغة العربية التي انتشرت عن طريق القرآن انتشارا واسعا كما لم تنتشر أية لغة آخري من لغات العالم،

[1]- المرجع نفسه، ص: 341.

فهي اللغة الوحيدة الجائزة في العبادة لكل المسلمين، لهذا السبب تفوقت على كل لغات العالم لذلك يعطي البحث اللغوي الاستشراقي أهمية كبرى للقرآن الكريم ولغته"[1]

1- الآثار السلبية التي تركها المستشرقون في العربية والإسلام:

كانت أعمال المستشرقين وجهودهم ذات قيمة في دراسة التراث العربي، حيث ترجموا وألفوا لأهم المؤلفات التراثية، كما ساهموا بشكل فعال في نشر الثقافة العربية والتشهير بأهم علمائها، هذا من جهة، غير أنهم تركوا أثارا سلبية تمس بالثقافة العربية والعقيدة الإسلامية، ومن بين هذه الآثار التي خلفوها نذكر[2]:

- "اعتماد الأوساط العلمية والجامعات الشرقية على كتب المستشرقين

- اعتماد كثير من المسلمين على مؤلفات المستشرقين في المواضيع الإسلامية الخالصة

- مؤلفات المستشرقين تحتل مكانة الكتاب المقدس بالنسبة للعرب كمؤلف كارل بروكلمان في تاريخ الآداب العربية باللغة الألمانية، وكتاب شاخت(Schacht) في مصادر الفقه الإسلامي فكل ذلك يخيل إليهم انه مما ينفرد في موضوعه، ويعد مصدرا علميا له أهميته وقيمته لجامعات الشرق في قسميها العربي والإسلامي.

- أن دائرة المعارف الإسلامية (encyclopaedia of islam)، التي ألفها المستشرقون (ولو كان فيها لبعض المسلمين إسهام ضئيل) فهي تعد اكبر مصدر للمعلومات والحقائق الإسلامية، وتعتبرها بعض البلاد الإسلامية اليوم أثمن ذخيرة لها، وتقوم بترجمتها إلى لغاتها بنصها"[3] بدل أن تضع موسوعات إسلامية أصيلة بقلم الباحثين المسلمين العرب.

---

[1]- ينظر: مصطفى غلفان، اللسانيات في الثقافة العربية الحديثة دار التنوير، ط1 (1427هـ-2006م)، ص: 94-100.

[2] سيد عبد الماجد الفوزي، مقالات وبحوث حول الاستشراق والمستشرقين، ص:32

[3]- سيد عبد الماجد الفوزي، المرجع السابق: ص:32.

4- ما يجب على العرب:

فمما ما هو واجب على الباحثين العرب اليوم تجاه الأعمال الاستشراقية ما يلي:

-"محاسبتهم لكتابات المستشرقين العلمية باستعراض مؤلفاتهم وكشف الغطاء عن تلبيساتهم، وبأن أخطائهم في فهم النصوص، فيبدوا للناس ضعف مصادرهم التي يعتمدون عليها، ويتطلعون على ما يخفونه من أغراض سياسية ودينية في خفايا دعوتهم وتربيتهم فكل ذلك مؤامرة على الإسلام والثقافة العربية، يجب إحباطها لا الانبهار بها.

- لابد من عمل ايجابي بناء، يتمثل في تأليف كتب تحليلية وأبحاث علمية عميقة مع وضع فهارس مفصلة مفيدة ومتنوعة.

- الكتابة بين التاريخ الرسمي والأسلوب العلمي النزيه، وبذلك يمكن ان تتحرر الطبقة المثقفة في العالم الإسلامي من تأثير أفكار المستشرقين المسمومة وسيطرتهم العلمية.

- تضافر الباحثين العرب في مختلف تخصصاتهم واتجاهاتهم الفكرية والعلمية ومحاولة دراسة العقلية العربية من شتى النواحي، (الفكرية والنفسية والعقدية، والاجتماعية)، والسعي من خلال ذلك إلى سد الفراغ الذي يسود ناحية من نواحي الحياة البشرية وحاجاتها، " لان الفراغ يسد بشيء سقيم ما لم يجد من يسده بشيء سليم"[1]، فقد تنوعت أساليب الكيد والمكر نريد أن تجتث جذوره.

نخلص هنا إلى أن المستشرقين الألمان، قد فهموا فهما جيدا انه للوصول إلى السيطرة على أداة التبليغ اي العربية، وجب عليهم عدم التوقف عند مبادئ عامة ونظرية حول عمل النحو، الذي لا يفسر إلا أمورا واقعة، ولا ضرورة له إلا بعد الممارسة أي أنه قد تم التعلم النظري والتطبيقي للغلة العربية بشكل متميز وبرغماتي من طرف المستشرقين، وهذا ما يمثل سبب الدراسة المعمقة للغة العربية بصفة عامة وللدرس الصوتي بصفة خاصة من طرق المستشرقين الألمان.

[1] - سيد عبد الماجد الفوزي، مقالات وبحوث حول الاستشراق والمستشرقين، ص: 32.

الفصل الثاني

الدراسة الإصوائية عند برجشتراسر

المبحث الأول: الصوامت

1- مخارج الأصوات وصفاتها:

ركز المستشرق الألماني برجشتراسر في حديثه عن مخارج الأصوات على ترتيب الحروف حسب المخارج والصفات، حيث يعرف المخارج بقوله: "والمَخْرَج أو المُخرج هو الموضع من الفم ونواحيه الذي يَخرج أو يُخرج منه الحرف"[1].

حيث ابتكر العرب القدامى وسيلة عملية لتحديد مخرج كل حرف بدقة وتتمثل في الإتيان بهمزة وصل مكسورة قبل الحرف المنطوق به ساكنا، فحيثما انقطع الصوت كان مخرج الحرف ولأنه على أساس المخارج يتم تصنيف الحروف الهجائية وتقسيمها قسمين: الصوامت والصوائت.

توصلنا من خلال تحليل الباب الأول من التطور النحوي"أن المستشرق الألماني عمد إلى التمهيد بمخارج الأصوات عند إدراجه لعنصر الصوامت، وهذا ما يدل على دقة المستشرقين الألمان في فهم اللغة العربية والإحاطة بها مثل ما أشار إلى اختلاف العرب في تحديد عددها فمن قائل سبعة عشر مخرجا ومن قال ستة عشر وهناك من عدها دون ذلك، غير أن الباحث الألماني يتمسك برأي القائلين سبعة عشر لأنه المشهور غير انه يرى أن أولها ليست بمخرج حقيقي كما يصرح، مرتب المخارج الستة عشر بحسب الترتيب الذي اتبعه سيبويه في الكتاب فكان أثناء وضعه لترتيب المخارج يسمي الحروف بمسمياتها كقوله:(ج.ش.ي) حروف شجرية (و.ب.م) حروف شفوية (ط.د.ت)،حروف نطعية رغم ان سيبويه لم يكن يصفها بل اكتفى فقط بتحديد المخارج كما أن المستشرق سمى النون الخفيفة كما قال سيبويه التي لها مخرج الخيشوم بالغنة، وهو يوافق سيبويه في هذا الترتيب ويصفه بالصحيح الذي لا شك فيه من وجهة نظر الغرب وبالمقابل يرى أن فيه نقصا لكون المخرج

[1]-برجيشتراسر، التطور النحوي للغة العربية، تعليق: رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، القاهرة- مصر، (1982م)، ص:11.

يشترك فيه أكثر من حرف واحد فهو يشترط لمعرفة الحرف و تمييزه تحديد صفة الحرف"[1] "بالإضافة إلى المخارج حيث يمثل لذلك بتفريقه "بين الأصوات الشفهية الأربع وهي: الباء، الفاء، الباء الإفرنجية (p)، (v)

– فعند إطباق الشفتين ثم فتحهما فالصوت الخارج إما الباء أو الباء الإفرنجية، والفرق بينهما في اهتزاز الأوتار الصوتية في الحنجرة فان وجد هذا الاهتزاز فهو صوت الباء وان انعدم فهو)(p). أما إذا لم نطبق الشفتين تماما بل تركنا فتحة صغيرة ليخرج الهواء من بين الشفة السفلى والثنايا العليا صار الصوت(فاء)"[2]، حيث يرى المستشرق أن هذه الحروف الثلاثة: الباء والباء الإفرنجية والفاء كلها قريبة المخرج غير أنها مختلفة الصفات فقسمها إلى ثلاثة أنواع:

1– "آني صوتي، وهو الباء (وهو ما يقابل عند القدماء صوت شديد مجهور).

2– آني غير صوتي، وهو الباء p (وهو ما يقابل عند القدامى صوت شديد مهموس).

3– متماد غير صوتي وهو الفاء (وهو ما يقابله في التراث العربي صوت رخو مهموس).

4 –أما الحرف الرابع v فهو يصنفه ضمن نوع المتماد الصوتي (رخو مجهور)"[3]، حيث يرى بأنه لا وجود لحرف شفهي منه في اللسان العربي غير انه موجود في كثير من اللغات كالفرنسية والانجليزية.

فمن خلال ما سبق نرى أن برجشستراسر قد أدرج حرف الباء الإفرنجية ضمن حروف العربية غير أن العرب لم يدرجوه ضمن الحروف الهجائية فالعربية تحتوي فقط على الباء سواء كرمز أو كصوت منطوق وان (p) الافرنجية موجودة فقط في نطق بعض الكلمات

[1] ينظر برجشتراسر، التطور النحوي للغية العربية، ص: 11–12

[2]–ينظر: برجشتراسر، التطور النحوي للغة العربية، ص:13.

[3]– ينظر: المرجع نفسه: ص:13.

كمثل قولنا: أوروبا، المكبر، فهذا التقسيم على الأنواع الأربعة السابقة يرى فيه المستشرق أن نحويو العرب استعملوه مثلما استعمله هو، غير انه أشار لفرقين بين التقسيمين:

"فأما الأول: اختلاف الاصطلاحات ويصف المصطلحات العربية بالغامضة الواضحة المعنى، فالمجهور عند القدماء يصطلح عليه بالصوتي والمهموس يقابله عند الغرب غير الصوتي. والشديد يقابله بالآني، والرخو بمعنى المتماد كما يشير إلى تسمية العرب للحروف المجهورة الشديدة كالباء بحروف القلقلة والفرق الثاني هو: أن العرب قد اثبتوا صفة ثالثة بين الشدة والرخاوة وهي التوسط"[1]

وقد تنبه إلى أن الحروف المتوسطة كلها مجهورة عند العرب وهي:(ع.ل.ن.ر.م) إذ يرى أن للعرب الحق في تمييزها عن الحروف الرخوة المجهورة

(الغين الضاد الزاي الظاء الذال) لكونها يسمع لها دوي ناشئ من مخرجها من الفم، بعكس الحروف المتوسطة فلا دوي فيها لذلك فرقها المستشرق عن باقي الحروف فرقا تاما سماها بـ: الصوتية المحضة كمقابل للمصطلح العربي الحروف المتوسطة ويقابل الحروف الرخوة المجهورة بمصطلح حروف ذات دوي.

"أما حرف العين فهو يرى أنه من الصعب تكييف ونطقه متنوع فهو أحيانا متماد (رخو) وأحيانا أني (شديد) فجعله متوسطا بين الحروف الرخوة المجهورة والحروف المتوسطة وبين الحروف الشديدة الرخوة"[2].

أما سيبويه فقد صنف الحروف المتوسطة بالشكل التالي:

"وأما العين فبين الرخوة و الشديدة تصل إلى الترديد فيها لشبهها بالحاء ومنها(المنحرف)، وهو حرف شديد جرى فيه الصوت لانحراف اللسان مع الصوت وهو اللام و

[1]– ينظر: برجشتراسر، التطور النحوي للغة العربية، ص:15.

[2] - ينظر: برجشتراسر، التطور النحوي للغة العربية، ص:15

منها حرف شديد يجرى معه الصوت لان ذلك الصوت غنة من الأنف فإنما تخرجه من انفك واللسان لازم لموضع الحرف، لأنك لو أمسكت بأنفك لم يجر معه الصوت وهو النون وكذلك الميم ومنها المكرر وهو حرف الشديد يجري فيه الصوت لتكريره وانحرافه إلى اللام وهو الراء"[1].

وهذا في معنى القول أن سيبويه قد أعطى لكل حرف من الحروف السابقة:(ع ل م ن ر) صفة مميزة غير أن المستشرق وضعها تحت تسمية واحدة وهي صوتية محضة، فقد اتبع سيبويه وغيره من القدماء في عهدهم مستثنيا حرف العين لأنه من الأصوات المتوسطة إلا أنه يرى بان الأصوات المتوسطة تشترك جميعها في خصائص ليست موجودة في نطق العين كحرية مرور الهواء في المجرى الأنفي أو الفمي دون عرقلة سيره بالتضييق عند نقطة ما.

بالإضافة إلى الصفات السابقة فقد تحدث المستشرق عن أهم صفات الحروف التي أوردها العرب، مستغنيا عن ذكر باقي الصفات لعدم أهميتها في تاريخ اللغات حسب رأيه، واهم هذه الصفات المذكورة الحروف المستعلية والمستفلة والمطبقة وغير المطبقة وحروف الصفير، فأما المستعلية ففسرها بأنها التي يستعلي اللسان عند تلفظها، ويرفع نحو الحنك، وهي: (غ،خ،ق،ض،ط،ص،ظ) أما باقي الحروف فهي مستفله وهي التي يستفل اللسان عند تلفظها ومن الحروف المستعلية صفة خاصة مميزة وهي الإطباق متمثلة في (ض،ط،ص،ظ) أما (غ،خ،ق) فهي غير مطبقة أما حروف الصغير فهي متمثله في: (ش،ص،س،ز)[2].

[1]– سيبويه: الكتاب، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط2، (1402هـ– 1982م)، ج4، ص: 435.

[2]– ينظر: برجشتراسر التطور النحوي للغة العربية، ص:16.

2- بين نطقنا ونطق القدماء:

فبعد دراسة المستشرق لمخارج الحروف وصفاتها توصل إلى فكرة أن بعض الحروف، يختلف نطقه الحالي عنه في القديم وهي:(ق ،ج، ط، ض، ظ).

"أما القاف فقد تحولت من صفه الجهر إلى صفه الهمس وكذلك الطاء غير أن نطق القاف القديم لا يزال موجودا في بعض المناطق البدو، أما الطاء القديم قد تلاشى تماما، أما الجيم فهي عند أكثر العرب معطشة مركبة من لفضي الدال والزاي، مقابلة إياها بـ(GE) الفرنسية"[1]، فصارت حديثا بسيطا فهي مجهورة شديدة ويرى الباحث في الجيم انقلابات كثيرة إذ هناك رأي يصرح "بان الجيم العتيقة كانت مثل الكاف التركية في مثل كلمة(كاه) وهذه الطريقة في النطق لا تزال موجودة في البدو حتى اليوم، أما بعضهم فيرى أنهم يلفظون الجيم، مثل الياء الألمانية، أي(J)[2]"

أما نطق الزاي القائمة مقام الجيم عند كثير من أهل الشام وغيرهم فمنشؤه من الجيم المعطشة، فهذا ما هو موجود عند العرب إلا أن الباحث من خلال مقارناته للغات السامية، توصل إلى أن النطق الأصلي لهذا الصوت، كان بغير تعطيش، كالجيم القاهرية، "فكلمة جمل في العربية مثلا هي في اللغة العبرية(gamal) وفي الآرامية gamla و في الحبشية gamal ، كما تحول الجيم من صوت بسيط إلى صوت مزدوج يبدأ بدال من الغار، ثم ينتهي بشين مجهورة، وصار هذا النطق هو المميز للفصحى"[3]، لذلك جاء به القرآن الكريم،غير أن نحاة العربية لم يصفوه الوصف الدقيق، وهذا ما سماه رمضان عبد التواب بالتغيرات التاريخية والتركيبية للأصوات في كتابه التطور اللغوي و قوانينه،إذ يرى أن التغيرات التاريخية لهذا الصوت، انحلاله إلى احد عنصريه المحولين له في اللهجات العربية

[1]- ينظر: برجشتراسر، تطور النحوي للغة العربية، ص:16.

[2]- ينظر برجشتراسر التطور النحوي في اللغة العربية، ص:17.

[3]- ينظر: المرجع نفسه، ص:19.

الحديثة، إذا ينطق كالدال في صعيد مصر فمثلا أهالي مدينة (جرجا) يسمون مدينتهم (دردا)[1].

كما يقولون (دمل) و (داموسة في) (جمل) و (جاموسة) والمكون الثاني للجيم وهو الشين المجهورة نسمعه جيدا في نطق الشوام و هو ما يسمى بالجيم الشامية.

"أما الضاد فهي الآن شديدة وقد كانت رخوة قديما وهي كذلك عند أكثر البدو حاليا، إلا أن لفظها البدوي الحاضر ليس نفسه لفظها العتيق، لان مخرج الضاد كما أورده سيبويه من أول حافة اللسان وما يليه، ومن القدماء من يقول: من جانبه الأيسر ومنهم من يقول من الأيمن ومنهم من يقول: من كليهما، حيث يشرح المستشرق الألماني ذلك فيرى أن مخرج الضاد قريب من مخرج اللام، الذي هو أيضا من حافة اللسان ويقول بأن الضاد العتيقة حرف غريب جدا وانه غير موجود في لغة من اللغات إلا العربية لذلك سميت بلغة الضاد"[2].

ويقول الباحث منصور بن محمد الغامدي في حرف "الضاد بأنه من الأصوات التي يكون فيها احد جانبي اللسان أو كلاهما قريب من الحنك لدرجة تسمح بظهور اضطراب في الهواء، وبهذا يكون ض جانبي احتكاكي مفخم"[3].

وقد أكد للمستشرق أن الضاد كانت قريبة في نطقها من اللام ما وجده عند "الزمخشري" في كتابه المفصل حيث ذكر أن بعض العرب كانت تقول الطجع بدل اضطجع.

"ومن الحروف التي اختلف نقطه حاليا عنه في القديم حرف الظاء وهي ألان عند كثير من أهل المدن تعتبر احد حروف الصفير، أما نطقها عند العرب قديما فهي ذال مطبقة و يرى برجشتراسر في هذا الصوت بأنه كان قريبا من نطق الضاد وكثيرا ما تطابقتا و تبادلتا في تاريخ اللغة العربية، إذ انه يورد لنا مثل مأخوذ من القران الكريم وهو لفظت

[1] - ينظر: برجشتراسر، التطور النحوي للغة العربية، ص: 19

[2] ينظر: برجشتراسر، التطور النحوي للغة العربية، ص:18

[3] – منصور بن محمد الغامدي، الصوتيات العربية، مكتبة التوبة، المملكة السعودية، ط1، (1421هـ–2001م)، ص:70.

الظنين "التكوير24" فقد قراها كثيرون الظنين بالظاء مكان الضاد التي رسمت بها في المصاحف"[1].

3- بين العربية والساميات:

وبعد هذا التفريق في نطق الحروف بين ما كانت عليه عند علمائنا العرب القدامى وبين ما صارت عليه حديثا توجه برجشتراسر إلى دراسة العلاقة بين نطق الحرف العربي القديم و نطق الحروف في اللغة السامية الأم، متسائلا في ذلك: "هل كانت الحروف تنطق في اللغة العربية في عهد الخليل بن احمد وسيبويه كما كانت تنطق في عهد اللغة السامية الأصلية، ام هل تغير نطقها؟" وقد أجاب المستشرق على هذا التساؤل من خلال مقابلته لحروف اللغات السامية. كلها خلال دراسة في مؤلف له بعنوان (أصوات اللغات السامية).

مكتفيا في هذا المقام بذكر نتائج هذه الدراسة أهمها[2]:

- "أن اللغة العربية رغم قدمها إلا أنها حفظت الحروف الأصلية حفظا أتم من سائر اللغة اللغات السامية الأخرى، مستثنيا من ذلك الإطلاق عده عوارض وهي: الفاء السين والشين و الحروف المطبقة أما الفاء فكان أصلها الباء مثل ما نجدها في كل اللغات السامية غير العربية والحبشية مثلا:

كلمه الفم يقابلها في الحبشية العتيقة(âf) لكنه في الاكدية(pu) وفي العبرية يقابله(pe) وفي الآرامية: (pum) واما السين والشين فيصرح الباحث الألماني بأن أصلها ثلاثة: سينا و شينا و حرفا ثالثا غير معروف نطقه الأصلي تماما، وهو غير متيقن ان كان سينا جنبية مخرجها من حافة اللسان، او شجيرية تشبه حرف(ich) في الألمانية. فيقول بان العلاقة بين هذه الحروف الثلاثه و بين الحرفين المذكورين في العربية السين والشين غريبة جدا اذ وجد بأن

[1] ينظر: برجشتراسر، التطور النحوي للغة العربية، ص:19-20

[2]- ينظر: برجشتراسر، التطور النحوي للغة العربية، ص:24.

السين يبقى نطقها على ما كان عليه في اللغه الام مثاله: كلمة (اسر) التي هي: في الاكدية (eseru)و(esar) في الارامية غير ان السين الاصلية صارت سينا عربية.

"مثاله كلمة سمع التي هي(semu)في الاكدية و(sama)في العبرية و(sma)في الارامية.

أما الحرف الثالث وهو السين الجنبية والشجرية وعلاماتها(s) فصارشينا مثاله كلمة: (عشر) التي هي(eser) في العبرية".

وتوصل في الأخير إلى أن السين العربية نشأت من حرفين: السين السامية الأصلية في بعض الكلمات، والشين في بعضها والشين العربية نشأت من السين الجنبية أو الشجرية.

ثم انتقل الباحث إلى دراسة سبب التغيرات التي طرأت على بعض الأصوات العربية وذلك من خلال عنصر القوانين الصوتية ما يقابل عند العرب القدامى بالأصول المطردة.

وضد المطرد حسب رأيه، هو الاتفاق (الشاذ) "وتسمى تغيرات الحروف اتفاقية اذا وقع هذا الحرف فقط في بعض الكلمات فلا قانون لحصولها، بل هي في الظاهر حصلت اتفاقا وفي الباطن ينبغي ان يكون لحصولها وعدم حصولها سبب لا نعرفه"[1].

ولخص المستشرق أهم الأسباب للتغيرات الصوتية الواردة:

– "أن الميم الأهلية في أواخر الكلمات صارة نونا عربية، ذلك ان قلب الميم نونا مطرد لانه حصل في اواخر كثير من الكلمات مثال: التنوين فان اصله ميم كما كان في الاكادية و السبئية مثل: بيت(baytun)بيت(baytin)بيتا(baytan)اصلها بيتم(baytum)بيتم (baytin)

والأداة: إن (in) فانها في العبرية(im)غير أن بعض الكلمات لم يطرأ على أواخرها هذا التغيير لسبب خاص كالضمائر نحو: انتم وهم والسبب هو أن الميم فيها لم تكن انتهائية

[1]– ينظر: برجشتراسر، ص: 26.

في هذه الضمائر فاصلها: انتمو وهمو بالواو حيث وجدها الباحث تكثر في القران الكريم وفي الشعر"[1].

– ومن بين أسباب الانقلابات الصوتية ان الاكدية فقدت كل الحروف الحلقية الحنجرية، كالعين والحاء ولما امتزج قوم من الساميين بأهل العراق (السومريون)، فاتخذ السومريون لغة الساميين لغة لهم، ولما كانت الحروف الحلقية غير معروفة لديهم فلم ينطقوا بها في اللغة السامية أيضا فتلاشت، فالصلة هنا هي امتزاج اللغات وهي من أهم علل تغير اللغات عامة"[2]

– والعلة الأخرى ما يسميه برجشتراسر بذوق العصر ، مثاله أن بعض أهل القاهرة قد استخشن نطق القاف و استغلظه فابدلوه بالهمز.

وقد أشار ابن جني قبل ذلك لظاهرة الانقلابات الصوتية حيث يقول في حرف السين:" وأما قولهم السدء في معنى الشدء و رجل مسدوء في معنى مشدوء، فينبغي ان تكون السين فيه بدلا من الشين لان الشين أعم تصرفا"[3]، وعليه يمكن أن نقول هنا أن السبب في انقلاب الشين سينا هو الاطراد وعمومية التصرف، مثلما يتحدث ابن جني كذلك في ثنايا كتابه عن اختلاف اللغات في النطق فيما يخص كلامه عن حرف الضاد" واعلم أن الظاد واحده من خمسه أحرف يدغم فيهن ما قاربه، وهي الراء والشين والضاد والفاء والميم)، ويقول قد ادغموا الضاد في الطاء في بعض اللغات فقالوا في اضطجع: اطجع هذه لغة شاذة"[4].

وهذا يعني ان الانقلابات الصوتية قد تحدث في اللغة الواحدة لأسباب أخرى غير التي ذكرها المستشرق الألماني، كإدغام حرف في حرف أخر ويبقى الضاد حرف تتميز به اللغة العربية عن باقي اللغات فلا يوجد في كلام العجم إلا قليلا.

---

[1] ينظر: برجشتراسر، التطور النحوي للغة العربية، ص:27

[2]– ينظرك المرجع نفسه، ص:26.

[3]– أبو الفتح عثمان بن جني، سر صناعة الأعراب، المكتبة التوفقية،ط1،دت،ج1،ص:182

[4]– المرجع نفسه: ص: 194.

4- المماثلة الصوتية و الإدغام:

يذكر لنا المستشرق الألماني فيما يخص المماثلة الصوتية أو التشابه الصوتي assimilation بأنه نظير لما يسميه العرب القدماء بالإدغام مفرقا هنا بين معنيين قريبين مختلفين في بعض الجوانب فأما الإدغام فمعناه: اتحاد الحرفيين في حرف واحد مشدد نحو أمنا وادعى في المثال الأول أمنا فالنون المشددة نشأت عن نونيين الأولى لام الفعل و الثانية نون الضمير، فاتحادهما حسب الباحث إدغام وليس بتشابه، وأما ادعى فاصل الدال المشددة الدال والتاء فدال فاء الفعل، التاء تاء الافتعال، قلبت دالا فهذا إدغام وهو تشابه أيضا مقدما لنا تخطيط يبين من خلاله العلاقة بين الإدغام والتشابه.

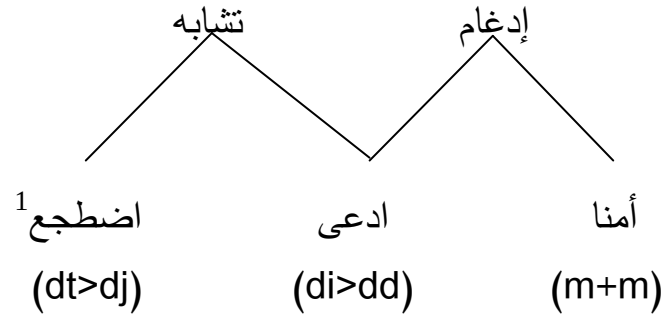

ومنه شرح أنواع التشابه المتمثلة في:

- التشابه الكلي مثلما هو موضح في المخطط لان الحرفان هنا متطابقان تماما.

- التشابه الجزئي حيث لا يتطابق فيه الحرفان مثاله ازدجر فالدال هنا أصلها تاء وقلبت لتشابهها مع الزاي وهنا الحرفان لم يتحدا إلى حرف واحد مشدد فهو إبدال وليس بإدغام.

- كما ينقسم التشابه من جهة أخرى إلى مقبل ومدبر ومتبادل، فلمقبل معناه أن اتجاه التغير من الحرف السابق، وهو فاء الفعل، إلى الحرف التالي فاثر الحرف السابق في التالي وغيره مثاله ادعى.

[1]- برجشتراسر: التطور النحوي للغة العربية، تعليق: رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، (1982م)، ص: 25.

"أما التشابه المدبر: فاتجاه التغير هنا من الحرف التالي الى السابق واثر التالي اي تاء الضمير، في السابق اي لام الفعل، وقلبه الى ما يشابهه في النطق مثل كلمه عبّدت وربّطت"[1].

اما التشابه المتبادل فان فاء الفعل اي الذال وتاء الافتعال، تشابهتا واستبدلتا بحرف ثالث مخالف لهما جميعا مثال ذلك (ادّكر).

كما انه يمكن للتغير الصوتي ان يتعدى الى المخرج، كقولنا جنب فان النون فيها تنطق ميما، فيصير مخرجها شفهي بعد ان كان من طرف اللسان"[2].

وهذا التشابه المطرد بين الحروف يعد من أهم عوامل إبدال الحروف، وهذا الإبدال الذي يحدث عن طريق التأثير من وجود علاقة صوتية بين الصوتين المتجاورين لتقارب المخارج او يكون الصوتين من مجموعة واحدة، من الصوامت أو الحركات.

نخلص من خلال دراسة التغيرات الصوتية الناجمة عن تجاور الأصوات المتماثلة أو المتقاربة في كلمة صوتية واحدة، انه قد توصل علماء العربية قديما للعديد من المصطلحات الصوتية التي دارت في هذا الحقل وقد شرحها الباحث الألماني بدوره كالإدغام والإبدال والتشابه والمماثلة أو التماثل ويقابلها المخالفة حيث شاعة هذه المصطلحات في كتب التراث منذ فتره مبكرة على يد العلماء الأوائل في الدرس الصوتي أمثال الخليل وسيبويه واللغويين وعلماء الأداء القرآني، لذا فانه ليس في أمكان الدارس الحديث للأصوات العربية أن يغفل نتائج تلك الدراسات القيمة.

[1] برجشتراسر: التطور النحوي للغة العربية، ص: 26

[2] – ينظر: برجشتراسر، التطور النحوي للغة العربية، ص: 30.

5-المخالفة الصوتية dissimilation:

يرى المستشرق أن المخالفة أو التخالف يناظره "الخطأ في النطق والعلة فيه نفسية محضة، ويكثر هذا القانون في النطق بالأصوات إذا تتابعت حروف شبيهة بعضها ببعض إذا أسرع الإنسان في نطقها وقد صنف التخالف إلى نوعين منفصل ومتصل: فالمنفصل، ما كان بين حرفيه المتشابهين حرف فاصل كقولنا إخضوضر فاصلها: اخضرضر اخضر، فأبدلت الراء الأولى واو لجوار مثلها وهذا النوع هو الغالب"[1]

أما التخالف المتصل ويسميه المستشرق بتخالف الحروف المشددة

ويحدث بقلب أول حرف منها إلى النون أو الراء أو اللام نحو:

" كلمة فرقع أصلها فقع وبلطح أصلها بطح إي ضرب بنفسه الأرض والعلة النفسية فيها هي أن المتكلم يرجو أن يؤثر في نفس السامع تأثيرا زائدا، فلا يكتفي بتشديد الحرف بل يضيف إليه حرفا أخر"[2].

ويحكم برجشتراسر على هذا القانون بالنادر مقارنة بالمماثلة في اللغة

العربية بالنسبة الى بعض اللغات السامية.

6- القلب المكاني:

ومن تغيرات الحروف التي تناولها المستشرق بالدراسة نجد تغير اخر وهو القلب المكاني وقد عرفه ابن جني في الخصائص بقوله:

"كل لفظين وجد فيهما تقديم وتأخير فأمكن أن يكونا جميعا أصلين ليس احدهما مقلوبا عن صاحبه... وان لم يكن ذلك حكمت بان احدهما مقلوب عن صاحبه"[1]. وهذا يعني أن حرف

[1]- ينظر برجشتراسر، التطور النحوي، ص:33.

[2]- ينظر المرجع نفسه ، ص 35.

من حروف الكلمة يقدم و حرف أخر يؤخر مكانه وإذا قارنا بين اللفظين ووجدنا بان احدهما أصلي و الأخر ليس أصلي فهذا يعني أن الثاني مقلوب من الأول مثال ذلك" ايس" التي اصلها يئس فحدث فيها قلب مكاني فقدمت الهمزة على الياء وقولهم "امضحل" فهذه أيضا لفظة اصلها اضمحل من المصدر اضمحلال حدث فيها قلب مكاني بتقديم الميم على الضاد، حيث يصرح برجستراسر بان اللغة العربية تحتفظ بتلك الكلمتين الاصلية منها مع الصورة الجديدة، التي حدث فيها قلب مكاني، ولا يمكن معرفة أيتها أصلية إلا بالرجوع إلى العربية وحدها مثاله في ذلك: كلمه مزراب ومرزاب فحيث أن الفعل منها، زرب لا رزب فيقرر أن الكلمة الأصلية مزراب وان مرزاب مقلوب منها"[2]

كما اننا نجده في موضوع اخر يأخذ براي مخالف لرايه الاول فيما يخص حديثه عن مقابلة اللغات السامية حيث يؤكد من خلال دراسته المقارنة بين اللغات بان اللغة العربية فقدت في بعض الكلمات الصورة الاصلية، وحافظت على الصورة الجديدة فقط مثال ذلك كلمة مع فإنها في العربية دائما على هذه الصورة الا انه وجدها تقابل

الكلمة العبرية" im " مستنتجا بان مع العربية مقلوبة من "عم" العبرية والسؤال المطروح هنا لماذا لا تكون مع هي الأصلية في اللغة العربية؟ ونحن غالبا ما ندرس القلب المكاني داخل اللغة الواحدة وإذا ما قابلنا ألفاظ لغة بألفاظ لغة أخرى فهنا تغير لعديد من المعايير كخصائص اللغات واصل نشاتها وبما أن المثال المأخوذ عبارة أداة فلا فعل له ولا مصدر وعليه ما هو الاعتبار الذي توصل به الباحث إلى معرفة الأصل؟

وهذه خديجة الحديثي تورد لنا من خلال مؤلفها "ابنية الصرف في كتاب سيبويه"، بعض الامور التي يمكن بها معرفة القلب المكاني منها[3]:

---

[1]– ابي الفتح عثمان بن جني: الخصائص، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، (2003م– 1424هـ)، ج3، ص:114.

[2]– ينظر: برجشتراسر تطور النحوي للغة العربية، ص:36.

[3] – خديجة الحديثي: أبنية الصرف في كتاب سيبويه، دار النهضة، بغداد، ط1، (1385 هـ – 1965 م)، بغداد، ص: 120

– أصل الكلمتين أو الاشتقاق نحو: (ناء– يناء) و (نأى– ينأى) فلم قيل في مصدرهما (النأي) ولم ياتي من لفظ (ناء) مصدر أخر كان دليلا على ان نأى هي الأصل وناء مقلوبة عنها

– ويعرف القلب المكاني أيضا بقلة استعماله بالنسبة للأصل مثل:

أدر مقلوب عن أدؤر وهو جمع دار ولما قل استعمال الأول صح انه المقلوب عن الثاني.

– ويعرف القلب في الكلمة عند الخليل إذا أدى تركها بلا قلب اسم الفاعل من جاء فاصله اجتماع همزتين نحو جاء اسم الفاعل من جاء فاصله جاييء بتقديم الياء، فلو لم تقلب لأدى تركها إلى انقلابها إلى همزة لان اسم الفاعل من الأجوف الثلاثي تقلب عينه همزة بعد ألف فاعل فتجتمع بذلك همزة في كلمة واحدة وذلك مستكره، فوجب تقدير القلب فيه فيصبح جاييئ: جائي ثم يعل اعلال قاض فيصبح جاء[1].

7– أحوال الهمز:

من خلال دراستنا للتطور النحوي نجد بان المستشرق الألماني تناول بعض الأحوال الهمز المتنوعة والتي وافاها النحويون القدامى شرح وتفصيلا، بتصريح منه هو نفسه غير أن الباحث هنا قد عمدا إلى دراسة أحوال الهمز في العربية دراسة تاريخيه وعلاقتها باللغات السامية الأخرى وأول حديثه في هذا الموضوع هو الإشارة إلى حذف الهمزة بالإبدال واو او ياء، وهو يرد حدوثه قديما إلى اللغة السامية الأم، "حيث ينبني هذا الحذف على قانون صوتهي وهو انه إذا توالى همزتان أولاهما في أول مقطع والثانية في أخره حذفت الثانية، ومدت الحركة قبلها، مثال على ذلك كلمه آو أصلها (أَأْو)، (أَأْ) مقطع أوله وأخره همزة فحذفت الثانية ومدت الفتحة قبلها"[2] في حين يتفق العرب القدامى على أن الهمزة حرف شديد

[1]– ينظر: خديجة الحديثي، ابينة الصرف في كتاب سيبويه، دار النهضة، بغداد، ط1 (1385هـ–1965م)، بغداد، ص 121.

[2] ينظر: برجشتراسر تطور النحوي للغة العربية، ص:38

مجهور* يخرج من أول مخارج الحلق من أخر الحلق مما يلي الصدر، قال الخليل:" وأما الهمزة فمخرجها من أقصى الحلق مهتوتة مضغوطة، فإذا رفه عنها لانت فصارت الياء والواو والالف[1]". وقال سيبويه: "ولحروف العربية ستة عشر مخرجا فاللحلق منها ثلاثة، فأقصاها مخرجا: الهمزة والهاء والألف[2]".

أما رأي القراء في اجتماع الهمزتين في كلمة واحدة فهو إذا التقت همزتان في كلمة، واحدة، أولهما متحركة والثانية ساكنة فيتفقون على إبدال الهمزة الثانية بحرف مد من جنس حركه ما قبلها[3]:

"فتبدل ألفا إذا كان ما قبلها مفتوح نحو" ادم "البقرة 31. التي أصلها أَأْدم.

وتبدل الواو اذا سبقها مضموما نحو"أوتي" البقرة 136 فان أصلها "أؤتي".

كما تبدل ياء إذا سبقها مكسورا نحو "إيمانا "أل عمران 173 فان أصلها إئمانا[4]".

أما النوع الثاني للحذف الوارد في المدونة هو انه إذا وقعت همزتان في أول مقطعين متتاليين، خففت الثانية نحو كلمة "ايمة" أصلها أئمة" ومقطعها الأول همزه متحرك هدة(أَ) فخففت الهمزة الثانية و أبدلت ياء.

وهذا ما يؤكده ابن منظور في لسان العرب من احول الهمز حيث يقول: "... اعلام ان الهمزة لا هجاء لها، انما تكتب مرة الف ومرة ياء ومرة واو،... والهمزة كالحرف الصحيح

*– وقد وافقهم برجشتراسر في إعطاء الهمزة هذه الصفة مخالفا بذلك الكثير من علماء الغرب والعرب المحدثين الذين لهم أراء متباينة، كأمثال دنيال جونس الذي يرى بانه صوت لا بالمجهور ولا بالتنفسي، ويذهب إلى وصفه بالهمس دائما والشدة عادة

[1]– ينظر: اكرم علي حمدان، الهمز بين القراء والنحاة مجلة البحوث والدراسات القرآنية العدد 08، ص:170.

[2]– سيبويه: الكتاب مكتبة الخانجي، القاهرة، ط2، (1402هـ–1982م)، ج4، ص: 16.

[3] ابن منظور محمد جمال الدين بن مكرم، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط1، (2000م)، م.ج.1، باب الهمزة، ص:26

[4]– ينظر: اكرم علي حمدان، الهمز بين القراء والنحاة،ص: 176.

غير ان لها حالات من التليين والحذف والإبدال والتحقيق تعتدل، فألحقت بالأحرف المعتلة الجوف[1].

ويعلق برجشتراسر على هذا الباب من تخفيف الهمز "بأنه وجه من أوجه التخالف أول المخالفة، التي سبق ذكرها وذلك ان سبب الحذف والابدال في توالي حرفين متماثلين، غير انه يتميز بأنه نتيجة لتسهيل النطق.

– ومن أحوال الهمز أيضا أنها تحذف إذا وقعت ساكنة بعد حركة وذلك واضح في الكسر والضم نحو بير ويوخذ وهما لفظتان وردتان في القران الكريم بهذا الشكل"[2].

– "ومما حذف فيه الهمز في كل اللهجات العربية لسبب خاص لام التعريف فاصلها أل بهمزة القطع، حيث يرى بأن العرب قد سلكوا فيها مسلك همزة الوصل،فأسقطوها في وسط الكلام، و ثبتوها في الابتداء"[3] و قد تجتمع الهمزتان في كلمة واحدة مثلما رأينا كما أنها قد تجتمع في كلمتين متتاليتين، اي ان تباشر همزة قطع في نهاية كلمة همزة قطع أخرى في بداية كلمة تالية، حال الوصل و هذا النوع ينقسم إلى قسمين[4]:

1 أن تكون الهمزتان متفقتين في الحركة نحو ما ورد في القران الكريم:

– اتفاق في الفتحة كقوله تعالى: ﴿شاء أن﴾ [الفرقان 57].

– واتفاق في الكسرة نحو قوله تعالى: ﴿هؤلاء إن﴾ [البقرة 31].

– ويمكن أن يكون اتفاق الهمزتين في الضمة نحو ﴿ أولياء أولئك﴾ [الأحقاف 32].

---

[1]– ابن منظور محمد جمال الدين بن مكرم، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط1، (2000م)، م.ج.1، باب الهمزة، ص:26.

[2] ينظر: برجشتراسر تطور النحوي للغة العربية، ص:44

[3] ينظر: برجشتراسر تطور النحوي للغة العربية، ص:45

[4] أكرم علي حمدان، الهمز بين القراء والنحات، مجلة البحوث والدراسات القرآنية، العدد 08، ص: 178

2- والقسم الثاني أن تكون الهمزتان مختلفتين في الحركة، وقد وقع منها في القران الكريم خمسة نماذج:

- مفتوحة يليها مكسورة نحو: ﴿ شهداء إذ﴾] البقرة 133].

- مفتوحة يليها مضمومة، نحو: ﴿جاء أمة﴾ [المؤمنون 44].

- مضمومة يليها مفتوحة، نحو: ﴿السفهاء ألا ﴾ [البقرة 13].

- مكسورة يليها مفتوحة، نحو: ﴿النساء أو﴾ [البقرة 235].

- مضمومة يليها مكسورة، نحو: ﴿ يشاء إلى﴾ [البقره142].

8- [حال الواو - الياء]:

وجد المستشرق من خلال تطلعه على كتب النحو التراثية بان العرب القدامى قد عدوا حرفي الواو والياء من بين سائر الحروف الهجائية على أنهما صامتان وخصصوهما بمخرج وسموه بالجوف غير أن المستشرق هنا خالف العرب حيث اعتبر الواو والياء من الصوائت(voyelles) كونه يرى بان أوضاع أعضاء النطق الخاصة بنطقهما مطابق لتلك الخاصة بنطق الضمة و الكسرة مطابقة تامة، مثبتا في ذلك الفرق بين الواو و الضمة و بين الياء و الكسرة بقوله: "وإنما تفترق الواو عن الضمة و الياء عن الكسرة من جهة وظيفتيهما في مقطع الكلمة ولذلك نسمي الواو والياء: شبهي الحركات*"[1].

لأنه يسهل اتحادهما بالحركات إلى حركة واحدة ممدودة.

والاتحاد فيهما نوعان[2]:

*وهو مصطلح يقابله المصطلح العلمي الغربيsemivoul

[1] - برجشتراسر، التطور النحوي للغة العربية، تعليق: رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، (1982)، ص: 47.

[2] ينظر: برجشتراسر تطور النحوي للغة العربية، ص: 47

1 اتحاد الواو أو الياء الساكنة مع ضمة أو كسرة سابقة نحو:

الواو مع الضمة في كلمة يوجد.

و الياء مع الكسرة في مثل كلمة سيرة

وهاتان الحالتان بسيطان.

أما الواو مع الكسرة فتصير كسره ممدودة نحو ميتة أصلها موْتة.

والياء مع الضمة منها ما يصير كسره ممدودة أيضا نحو بيض جمعها ابيض التي أصلها بُيض.

2 أما النوع الثاني فهو اتحاد الحركة السابقة للواو أو الياء، بالحركة التالية لها مع حذف الواو أو الياء نفسها نحو غزا أصلها غَزَوَ ورمى أصلها رمي فأدمجت حركة الواو بالحركة السابقة له وحذفت الواو وأبدلت بحركة واحده من ممدودة وكذلك بالنسبة للياء في كلمة رمى

كما أن للواو والياء تقلابات أخرى منها[1]:

– "أنهما في بعض الحالات تحذفان إذا وقعتا بعد حرف ساكن نحو: مقول بدل مقوول و مخيط بدل مخييط ولغة بدل لغوة[2].

– ومن انقلابات الواو أنها إذا كانت لام الفعل، صارت ياء في كثير من ابنيه الفعل و بعض أبنية الاسم كمثل: كلمه عصي جمع عصا أصلها عصوي.

– والواو والياء قد تستبدلان من الهمزة و بها، وقد ذكر مثال للنحويين في قولهم أسماء التي أصلها وسماء، وان اسم يثرب لغة بالهمز بدل الياء أي أثرب ومنه في القران الكريم اقتت بدل وقتت.

[1] ينظر: برجشتراسر تطور النحوي للغة العربية، ص: 48

[2]–ينظر: المرجع نفسه: ص48.

وفي ذلك يذهب ابن منظور إلى" ... وكل ما فيه من الهمزة فهي مبدلة من الياء أو من الواو نحو القضاء أصله قضاي لأنه من قضيت و نحو العزاء اصهل عزاو لأنه من عزوت[1].

هذا وبعد دراستنا للقسم الأول من باب أصوات اللغة الذي كان فيه حديث مطول نوعا ما عن الصوامت ننتقل الآن إلى دراسة القسم الثاني والذي تحدث فيه المستشرق عن الحركات أو ما يسمى بالصوائت.

المبحث2- الحركات:

يقر برجشتراسر في مستهل هذا القسم بان النحويين القدماء لم يوفقوا إلى معرفة طبيعة الحروف الصائتة؛ مثلما ألموا بالحروف الصامتة مؤكدا حكمه بأن العرب كانوا يتأثرون بالخط، خلافا للنطق وقدم مثالا على ذلك في فعل و فاعل فالنحويون القدامى يرون بان فعل لا وجود لحرف مد بين حروفها بعكس فاعل غير انه حسب المستشرق فالحالتان سيان فتنطق بعد الفاء حركه في كلتيهما غير أنها مقصورة في الأولى فعل و ممدودة في الثانية فاعل[2].

كما انه وصف التشديد بأنه نوع من المد و يكون خاصة في الحروف الرخوة؛ فان امتداد نطقها أطول من امتداد نطق الحروف غير المشددة، فالتشديد هنا مد للحروف الصامتة كما هو نظير لمد الحروف الصائتة (الحركات).

بناء على ما سبق نجد المستشرق ينقد النحويين العرب في إغفالهم للحركة في مثل كلمة (فعل) التي يسميها بالحركة المقصورة وخلافها الممدودة غير ان المعروف عند العرب هو ان الأصوات العربية الصائتة تنقسم:

[1]- ابن منظر محمد حمال الدين بن مكرم، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط1، (2000م)، مج، 15، باب الياء،ص: 333.

[2] ينظر: برجشتراسر تطور النحوي للغة العربية، ص:48

" حروف مد وهي الالف والواو، والياء ويطلق عليها صوائت طويلة، وحركات: الفتحة والكسرة والضمة وتسمى بالصوائت القصيرة والنحويون العرب يرون بان حروف المد والحركات كلاهما سيان والفرق بينهما في عملية الطول فقط، فالفتحة بعض الالف، والضمة نصف الواو، والكسرة هي نصف الياء"[1]

1- عدد الحركات

وقبل الحديث عن عدد الحركات تجدر بنا الإشارة إلى أن مصطلح "الحركات" عند برجشتراسر يقابله بمصطلح الصوائت وعددها ثلاث: الفتحة، والكسرة والضمة حيث يظهر من ذلك أن المستشرق الالماني قد ساوى بين مصطلحين احدهما محتوى بالآخر واعتبارهما نفس الشيء، ربما اختلطت عليه المصطلحات في تشعبها ففي العربية نجد أن" الأصوات الصائتة الأصلية ستة: ثلاث منها لحروف المد وثلاثة للحركات، فثلاث الأولى تسمى بالأصوات الصائتة الطويلة والثلاث الأخيرة تسمى بالأصوات الصائتة القصيرة"[2]، حيث يرى المستشرق أن عدد الحركات المقصورة كانت في الأصل اثنتين لا ثلاث، يعني حركة كاملة، هي الفتحة، وحركة ناقصة، أحيانا تشبه الكسرة وأحيانا تشبه الضمة مؤيدا رأيه بشواهد من العربية تدل على أن الكسرة والضمة لا فرق بينهما في الأصل معنى ووظيفة، منها ان كثيرا من الأفعال ماضيها إما فعل أو فعُل وهذا ما قد فصل فيه في العنصر الموالي[3] اما ابن جني فيذهب إلى ان عدد الحركات ستة لا ثلاث، حيث يقول: " اما في أيدي الناس في ظاهر الأمر، فثلاث، وهي الضمة والفتحة والكسرة، ومحصولها على الحقيقة ست، وذلك أن بين كل حركتين حركة[4] وهذا ما قد وافق فيه برجشتراسر، ابن جني في حدثيه عند اشمام حركة بحركة أخرى، وهذا كقول ابن جني في ذلك:" والتي بين الكسرة والضمة ككسرة قاف

---

[1]-ينظر: عبد الرحمان بن إبراهيم الفوازن، دروس في النظام الصوتي للغة العربية، ط1، (1428هـ-2007م)، ص: 39.

[2]- ينظر: عبد الرحمان بن ابراهيم الفوزان، دروس في النظام الصوتي للغة العربية،ص:40.

[3]- ينظر، برجشتراسر، التطور النحوي للغة العربية،ص:56.

[4]-ابو الفتح عثمان ابن جني: الخصائص، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، (2003م-1424هـ)-ج3، ص: 120.

في (قيل) فهذه الكسرة المشمة ضما، ومثلها الضمة المشمة كسرا كضمة قاف المُنقُر، وباء ابن بور، فهذه الضمة اشرب تكسرا كما أنها في قيل وسير كسرة أشربت ضما فهما لذلك كالصوت الواحد[1].

2- الضمة والكسرة حركة واحدة في الأصل:

إذ يرى برجشتراسر أن الفتحة حركة كاملة معينة، بخلاف الكسرة والضمة فهما حركتان ناقصتان، وقد اثبت صحة كلامه من خلال تطلعه على علم الأصوات الاوكيستيكي أو ما يعرف بعلم الأصوات الفيزيائي، فوجد أن الأصوات (الصامة، الصائتة) جنسان، صوت ثبات وصوت الانتقال، يعني أعضاء النطق بالحرف أما ثابتة باقية في وضعها، أو أنها تنتقل وتتحرك من وضع إلى أخر، واصفا الفتحة بالثبات والكسرة والضمة بالانتقاليين، وليس بينهما فرق معلوم، سائل في ذلك هل يوجد في العربية نطق للكسرة والضمة كالذي وضعه، ثم أشار إلى انه "توجد حركة متوسطة بين الكسرة والضمة، ما سماه النحويون والمقرئون، بإشمام الكسرة بالضمة، مثاله على ذلك: كلمة (قيل ورد) إي (rudda وkula) بالـ(U)الفرنسية، او (U) الالمانية، وهو لا يشك في صحة هذه الفكرة غير انه وصفة هذه الحركة المتوسطة بين الكسرة والضمة (الاشمام) بالحرف الثباتي، لا الانقالي، اما الحركة النقاصة الانتقالية كانت تقارب الضمة في بعض الحالات والكسرة في بعضها، غير انه لا فرق بينهما في المعنى والوظيفة"[2]

3- تغير الحركات وحذفها وزيادتها:

فكما رأينا أن الصوامت تدخل عليها التغيرات وكذلك الحركات تعتريها تغيرات نلخصها فيما يلي[3]:

---

[1]- مرجع، نفسه: ص121.

[2]-ينظر: برجشتراسر، التطور النحوي للغة العربية، ص:56.

[3] ينظر: برجشتراسر تطور النحوي للغة العربية، ص:60

– "أن الحركة القصيرة الناقصة الانتقالية صارت حركتين كاملتين في كثير من اللهجات العربية، اما كسرة واما ضمة.

– الإبدال واهم أنوعه التشابه.

– تغير بالمد نحو: انا الياء أثبتت في رسم القران، قبل الضمائر في كلمة رميها، والاملاء العادي ابدلها بالالف في هذه الحالة فكانت: رماها.

– تغير بالتقصير: ويكون قبل حرف ساكن مثال ذلك: رمت فاصلها: ramayat فقصرت وكذلك نحو كلمة في البيت فهي تنطق بالكسرة المقصورة، وهذا ما ينطبق على بعض الحروف الانتهائية الممدوة في الأصل فكتبت في العربية بغير حرف مد (مقصورة) نحو: (فيه، وله وانت) فالحركة الأخيرة في هذه الكلمات كلها كانت ممدوة في الأصل، وقد توصل إلى معرفة من خلال مقابلة سائر اللغات السامية، فضمير: (هُ) يقابله (ur) في الاكادية،hu وانتم في الحبشية،antemmu "[1]

–"اما التغير بالحذف فهو قليل في اللغة العربية، ومنه حذف الحركة الثانية في: (نعم وبئس)،بدل (نعم وبئس) وقد تحذف حركة بين حرفين متشابهين فيدغمان، مثاله: "مكني" بدل مكنني، (وتامنا) بدلا تامننا"

– وهناك نوع اخر من انواع تغيرات الحروف الصائتة، وهو الزيادة وهو كمثل الحذف نادر في العربية، نحو: ان اكثر الاسماء التي وزنها: (فعل) قد تكون على (فعل) بزيادرة الضمة مثال ذلك: كلمة (اذن)و (اذن) وهي في الأكادية: UZNU ومن الزيادة زيادة حركة بعد حرف ساكن في أخر الكلمة إذا تابعته همزة الوصل، نحو: (عني البيت) [2]

[1]– ينظر: برجشتراسر، تطور النحوي، ص: 62–66.

[2]– ينظر: المرجع نفسه:ص:68.

هذا وقد وصنا الى نهاية هذا القسم من الصوائت والذي ختمه المستشرق بعرضه لقضية الترخيم والنغمة في اللغة العربية.

4- الضغط والتنغيم:

اما الترخيم فهو اختصار الكلمة، وحذف لاكثر من كلمة واحدة منها ما هو مذكور بكثرة في كتابات النحويين خاصة في باب النداء نحو: "(يا حار) بدل (ياحارث) و (ياصاح) بدل (يا صاحب)"[1] ومنه قول احد الشعراء (يافاطم)، بدل يافاطمة وقد تكلم بهي النبي صلى الله عليه وسلم قبل ذلك، عندما ينادي على ابنته فاطمة رضيا الله عنها يقول لها: (يافاطم)، وهو ما فيه من اللطف والمداعبة.

"ومن التحية(عم صباحا)، أصلها: انعم صباحا، ومن الترخيم ما هو جنس من التخالف، وهو حذف لاحد مقطعين متتاليين أو لهما حرفان متماثلان نحو: (تذكرون) بدل: تتذكرون، و(اسطاع)،: استطاع، و (بلحارث) بدل: بنو الحارث "[2]وهذا المثال الأخير متداول بكثرة في اللهجات العربية.

اما فيما يخص الضغط والنغمة، فيعتبرها برجشتراسر مسالة صعبة كون كل لغة لها نغمة خاصة بها وهذا ما سماه الصوتيين العرب بالنبر والتنغيم، حيث يقول احمد مختار عمر في هذا الصدد، " مجموعة النبر" stress group هو عبارة عن تتابع من المقاطع يتميز الواحد منها، وهو المقطع المنبور باحتوائه على قدر اكبر من ضغط الرئة بالنسبة للمقاطع الاخرى، ويتفاوت النبر في طوله حتى يبلغ اربع مقاطع وقد تصل إلى ستة"[3]

"مثلما اشار الى ان النغمة قد تحتوي على اكثر من نبر، ويصرح برجشتراسر بعد شرحه للضغط والنغمة في اللغات الاجنبية كامثال الفرنسية والانجليزية والالمانية، انتقل الى

[1]- ينظر برجشتراسر،التطور النحوي، للغة العربية، ص:70.
[2]- ينظر: المرجع نفسه، التطور النحوي للغة العربية، ص:70.
[3]- احمد مختار عمرن دراسة الصوت اللغوي، عالم الكتب، القاهرة، ط1، (1418ه-1997م)،ص:163.

الحديث عن هذه الظاهرة في اللغة العربية بان النحويين والمقرئين القدماء لم يذكروا النغمة ولا الضغط أصلا، وان العربية نفسها ليست باللغة ضاغطة وهذا راي صحيح لان اللغة الضاغطة كثيرا ما يحدث فيها حذف للحركات المضغوطة وتقصيرها وتضعيفها وهو كما رأينا في العناصر السابقة كله نادر في اللغة العربية هذا وقد خالفه الكثير من الباحثين العرب المحدثين في كون الغة العربية لغة نبرية كما أدرجوا قواعد لذلك"[1].

المبحث3- ما وفق فيه العرب وما خالفهم فيه

ونستنتج ان برجشتراسر رغم انه كان موضوعيا في دراسته ومدافعا عن أصالة التراث الصوتي العربي غير انه قد وافق العرب في مواطن، وخالفهم في مواطن أخرى وسنعرض فيما يلي ما وافق فيه العرب وفيما خالفهم فيه.

1- ما خالف فيه العرب

فقد خالف المستشرق الألماني برجشتراسر النحويون القدمى في كثير من المفاهيم الصوتية وكذلك خالفهم في المصطلحات ومما خالفهم فيه نذكر:

-مخالفته للقدماء في مصطلح "أصولا مطردة" فسماها هو "بقوانين صوتية" والمطرد يقابله "الشاذ" عند العرب، وهو "ألاتفاقي" عنده.

- "مصطلح المشترك" فقد قابله ببحث الأصوات.

-مصطلح "مجهور سماه بالصوتي، و"المهموس"، عند العرب يقابله مصطلح "غير صوتي عنده"

- كما أتى بمصطلحات جديدة بمصطلحي الشديد والرخو العربيين، فقابل الشديد "بالاني"، والرخو "بالمتماد"

[1] ينظر: برجشتراسر تطور النحوي للغة العربية، ص:71

-كما انه خالفهم في مفهومه للحركات فهو يعتبر هذا المصطلح بمثابة الشيء نفسه مع مصطلح السوائط أما عند العرب فنجد انا الحركات هي قسم من أقسام الصوائت

- خالف العرب أيضا في مصطلح "الحروف المتوسطة" فأبدلها بمصطلح جديد وهو "الصوتية المحضة"

- اعتبر العرب القدامى حرفي الواو والياء من بين سائر الحروف الهجائية على أهما صامتان وخصصوهما بمخرج، وسموه بالجوف غير أن المستشرق هنا خالفهم وقال بأنهما صائتان.

- كما خالفهم في عده حركتي الكسرة والضمة حركة واحدة.

2- ما وافق فيه العرب:

- وافق العرب في عده عدد مخارج الحروف سبعة عشر مخرجا

- كما وافق برجشتراسر سيبويه في ترتيبه لمخارج الحروف ووصفه بالصحيح الذي لا شك فيه

-ووافق العرب في قضية نطق الحروف وتغيره بين القديم والحديث

- كما انه وافقهم في كثير من القضايا والقوانين الصوتية كالإدغام والمخالفة والقلب المكاني

موافقته لابن جني في عده ان الواو والياء قد تستبدلان من الهمزة.

- وافق العرب في وصفه للغلة العربية بأنها لغة غير ضاغطة أي أنها ليست نبرية

إذ نخلص في نهاية هذا الفصل إلى أن المستشرق الألماني قد درس بعضا من جوانب التراث الصوتي، فكان موضوعيا نوعا ما خلال بحثه وتحريه في مختلف القضايا التي تناولها في الباب الأول من مؤلفه التطور النحوي للغة العربية، وتوصلنا الى ان

الدراسات الصوتية عند العرب تتسم بالأصالة، وفضل السبق، فقد عرف هذا غير واحد من المعلماء المنصفين، والباحثين المدققين الأجانب كالمستشرق براجشتراسر، وغيره من المستشرقين الالمان الذين ركزوا اهتمامهم على دراسة اللغة العربية من خلال اعتمادهم التراث اللغوب العربي منطلقا وركيزة لهم، مثلما بذلوا جهودا معتبرة من خلال ترجمة هذا التراث الى الالمانية نذكر منهم: فلايشر(heinri fleischer) نولدكه (theodor noldeke) ، يوهان فوك (johann fuck)، شاده (A shaade) بروكلمان (carlbrockelmann)وتجدر الإشارة هنا إلى أن المستشرقين الألمان هم الوحيدين الذين كتبو باللغة العربية بكثرة بالنسبة لباقي المستشرقين المهتمين بالتراث العربي.

خاتمة

من خلال دراستنا لموضوع هذا البحث توصلنا في الأخير إلى عدة نتائج أهمها: أن صفة مستشرق تطلق على كل باحث غربي يكون مجال اختصاصه متعلقا بالشرق.

-أن المستشرقين الألمان قد درسوا الصوتيات العربية بكل دقة وجدية في البحث.-ان الاستشراق له أهداف متنوعة وعديدة، وذلك بتنوع وتعدد المستشرقين، ولتحقيق أهدافهم اعتمدوا على العديد من الوسائل، منها تأليف الكتب والمجلات وعقد المؤتمرات والمحاضرات.-ان الحركة الاستشراقية أسهمت في خدمة التراث العربي بصورة فعالة، وذلك من خلال الدراسات التي قام بها المستشرقون كأمثال برجشتراسر للدرس الصوتي العربي، وبيان قيمته ترجمة وتأليفا.

- أن المستشرق الألماني كان موضوعيا في دراسته للتراث الصوتي، فلم يبخل القدامى حقهم في تبيان جهودهم وأثارهم الجليلة.

-أن برجشتراسر كان مدافعا عن أصالة الدرس الصوتي العربي غير انه قد خالف القدامى في بعض المفاهيم والمصطلحات الصوتية ووافقهم في كثير منها.

- أن الدرس الصوتي العربي إنما نشا أصيلا، ودوافع نشأته (القران الكريم) ما هي إلا دليل على أصالته.

وقد خالف المستشرق الألماني برجشتراسر النحويون القدمى في كثير من المفاهيم الصوتية وكذلك خالفهم في المصطلحات ومما خالفهم فيه نذكر:

-مخالفته للقدماء في مصطلح "أصولا مطردة" فسماها هو "بقوانين صوتية" والمطرد يقابله "الشاذ" عند العرب، وهو "ألاتفاقي" عنده.

- "مصطلح المشترك" فقد قابله ببحث الأصوات.

-مصطلح "مجهور سماه بالصوتي، و"المهموس"، عند العرب يقابله مصطلح "غير صوتي عنده"

- كما أتى بمصطلحات جديدة بمصطلحي الشديد والرخو العربيين، فقابل الشديد "بالاني"، والرخو "بالمتماد"

-كما انه خالفهم في مفهومه للحركات فهو يعتبر هذا المصطلح بمثابة الشيء نفسه مع مصطلح السوائط أما عند العرب فنجد انا الحركات هي قسم من أقسام الصوائت

- خالف العرب أيضا في مصطلح "الحروف المتوسطة" فأبدلها بمصطلح جديد وهو "الصوتية المحضة"

- اعتبر العرب القدامى حرفي الواو والياء من بين سائر الحروف الهجائية على أهما صامتان وخصصوهما بمخرج، وسموه بالجوف غير أن المستشرق هنا خالفهم وقال بأنهما صائتان.

- كما خالفهم في عده حركتي الكسرة والضمة حركة واحدة.

ووافق العرب في عده عدد مخارج الحروف سبعة عشر مخرجا

- كما وافق برجشتراسر سيبويه في ترتيبه لمخارج الحروف ووصفه بالصحيح الذي لا شك فيه

-ووافق العرب في قضية نطق الحروف وتغيره بين القديم والحديث

- كما انه وافقهم في كثير من القضايا والقوانين الصوتية كالإدغام والمخالفة والقلب المكاني

موافقته لابن جني في عده ان الواو والياء قد تستبدلان من الهمزة.

- وافق العرب في وصفه للغلة العربية بأنها لغة غير ضاغطة أي أنها ليست نبرية

إذ نخلص في نهاية هذا الفصل إلى أن المستشرق الألماني قد درس بعضا من جوانب التراث الصوتي، فكان موضوعيا نوعا ما خلال بحثه وتحريه في مختلف القضايا التي تناولها في الباب الأول من مؤلفه التطور النحوي للغة العربية، وتوصلنا الى ان الدراسات الصوتية عند العرب تتسم بالأصالة، وفضل السبق، فقد عرف هذا غير واحد من المعلماء المنصفين، والباحثين المدققين الأجانب كالمستشرق براجشتراسر، وغيره من المستشرقين الالمان الذين ركزوا اهتمامهم على دراسة اللغة العربية من خلال اعتمادهم التراث اللغوب العربي منطلقا وركيزة لهم، مثلما بذلوا جهودا معتبرة من خلال ترجمة هذا التراث الى الالمانية نذكر منهم: فلايشر(heinri fleischer) نولدكه (theodor noldeke) ، يوهان فوك (johann fuck)، شاده (A shaade) بروكلمان (carlbrockelmann)وتجدر الإشارة هنا إلى أن المستشرقين الألمان هم الوحيدين الذين كتبو باللغة العربية بكثرة بالنسبة لباقي المستشرقين المهتمين بالتراث العربي.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع

أ المصادر:

1- ابن منظور محمد جمال الدين بن مكرم، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط4، (2005م) مج8، (مادة شرق).

2- ابو الفتح عثمان بن جني، سر صناعة الإعراب،ت: مصطفى السقا، ج1، (1954)

3- ابو الفتح عثمان بن جني، الخصائص، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2،

(1424هـ- 2003م) ج3

ب- المراجع

1- احمد حساني، مباحث في اللسانيات، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر، ط1990.

2- احمد مختار عمر، البحث اللغوي عند العرب، عالم الكتب، القاهرة، ط6، (1988م)

3- احمد مختار عمر، دراسة الصوت اللغوي، عالم الكتب، القاهرة،ط1 (1418هـ1998م)

4- إدريس محمد جلاء، الاستشراق الإسرائيلي في المصادر العبرية، العربي، القاهرة، (1418هـ-1998م)

5- برجشراسر، التطور النحوي للغة العربية، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط4 (1423هـ-2003م)

6- حبنكة الميداني، عبد الرحمن حسن، أجنحة المكر الثلاثة، دار القلم ،ط8، (1420هـ-2000م)

7-خديجة الحديثي،ابنية الصرف في كتاب سيبويه،دار النهضة،بغداد،1385هـ-1965م،بغداد

8-دانيال ريغ،رجل الاستشراق،مسارات اللغة العربية في فرنسا،ت:ابراهيم صحراوي،دار التنوير،ط1،(2008م)

9-الزيات،احمد حسن،تاريخ الادب العربي،دار المعرفة،بيروت-لبنان،ط7(1423هـ-2002م)

10-الزيادي،محمد فتح الله،ظاهرة انتشار الاسلام وموقف بعض المستشرقين منها،المنشاةالعامة،طرابلس،ط1،(1392هـ-1983م)

11- سيبوية، الكتاب، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط2، (1402هـ-1982م)

12- عبد الحسن عباس حسن الجمل الزويني، البحث اللغوي في دراسات المستشرقين الألمان، جامعة الكوفة، كلية الآداب، (1431هـ-2010م)

13- عبد الرحمن بن إبراهيم الفوزان، دروس في النظام الصوتي في اللغة العربية، ط1، (1428-2007م)

14- غانم قدوري الحمد، المدخل إلى علم أصوات العربية، دار عمار، ط1، (1425هـ-2004م)

15- مجمع اللغة العربية بالقاهرة، المعجم الوسيط، المكتبة الاسلامية لطباعة والنشر والتوزيع، استانبول، تركيا، د.ط، د تا،ج1

16- محمد فاروق النبهان، الاستشراق ، تعريفه، مدارسهن أثاره، منشورات المنظمة الإسلامية والعلوم والثقافة ايسيسكو، (1433هـ-2012م)

17- مصطفى غلفان، اللسانيات في الثقافة العربية الحديثة، دار التنوير، ط1، (1427-2006م)

18- مهدي المخزومي، مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللغة والنحو، شركة ومكتبة ومطبعة مصطفى الباني الحلبي واولاده، مصر، ط2، (1377هـ-1958م)

19- منصور بن محمد الغامدي، الصوتيات العربية، مكتبة التوبة، المملكة السعودية، ط1، (1421هـ-2001م)

20- نجا، فاطمة هدى، نور الاسلام وأباطيل الاستشراق، دار الإيمان، طرابلس، لبنان، ط1 (1413هـ-1993م)

ج- المجلات والدوريات.

1- إبراهيم عادل، المدرسة الألمانية ومصطلح الاستشراق الجديد، الحوار، اليوم: الاحد09-06- 2015، ساعة، 00.02.

2- ارتور شاده، علم الأصوات عند سيبويه وعندنا، مراجعة: صبيح حمود التميمي، آداب الرافدين، العدد 58، (1432هـ-2010م)

3- أكرم علي حمدان، الهمز بين القراء والنحات، مجلة البحوث والدراسات القرآنية، العدد 08.

4- السباعي مصطفى، الاستشراق والمستشرقون مالهم وما عليهم

5- نسيمة نابي، واقع اللغة العربية وثر المستشرقين عليها، جامعة العربي بن مهيدي، ورقلة.

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات

المحتوى	الصفحة
شكر وعرفان	
إهداء	
المقدمة	أ
I-المدخل: الدراسات الاستشراقية	
1-تعريف الظاهرة الاستشراقية	**5**
2-نشأتها وتاريخ ظهورها	**7**
3-نشأة الدراسات الصوتية العربية وتطورها	**10**
II-الفصل الأول: دراسات المستشرقين الألمان للدرس الصوتي العربي	
المبحث1: وسائل الاستشراق	**17**
1- تأليف الكتب	**17**
2- إصدار المجلات	**17**
3- المؤسسات العالمية	**18**
4- عقد المؤتمرات والندوات وإلقاء المحاضرات وإنشاء الجمعيات	**18**
5- نشر المقالات	**19**
المبحث2: المدرسة الألمانية واهم المشرقين الألمان	**19**
1- المدرسة الفرنسية	**20**
2-اهم المستشرقين الفرنسيين وبعض أعمالهم المتخصصة	**22**
3-المدرسة الألمانية	**23**
4-خصائصها	**24**
المبحث3: أهم كتابات المستشرقين في الدرس الصوتي العربي	**26**
1- إسهامات المستشرق الألماني ارتور شاده في الدرس الصوتي العربي	**26**
2-دراسة المستشرقين للغة العربية ولهجاتها القديمة والحديثة.	**30**

3-الآثار السلبية التي تركها المستشرقين في العربية والإسلام.	**31**
4-ما يجب على العرب تجاه لغتهم	**32**
II-الفصل الثاني: المدرسة الاصواتية عند برجشتراسر	
-المبحث1: الصوامت	**34**
1-مخارج الأصوات وصفاتها	**34**
2-بين نطقنا ونطق القدماء	**37**
3-بين العربية والساميات	**39**
4-المماثلة الصوتية والادغام	**42**
5- المخالفة الصوتية والادغام	**44**
6- القلب المكاني	**45**
7- احوال الهمز	**47**
8- الواو والياء	**50**
المبحث2: الصوائت (الحركات)	**52**
1- عدد الحركات	**52**
2- الضمة والكسرة حركة واحدة	**53**
3-تغير الحركات وحذفها وزيادتها	**54**
4- الضغط والتنغيم	**55**
المبحث3: ما وافق فيه العرب وماخالفهم فيه.	**57**
1- ما خالف فيه العرب	**57**
2- ما وفق فيه العرب	**58**
خاتمة	**61**
قائمة المصادر والمراجع	
فهرس	

الملخص:

ظلت المباحث الصوتية تحتل مكانة بارزة في كتب النحو الصرف إلى عصور متأخرة، أما في مؤلفات علم التجويد فإن الاهتمام بها قد استمر على نحو واضح، ثم اتجهت علميا، كثمرة للترجمة المباشرة عن الطب اليوناني، وقد مثل هذا ابن سينا في رسالته "أسباب حدوث الحروف" وهكذا انتقلت البحوث الصوتية في تطور عبر الأزمان، حيث نشطت دراسة أصوات العربية في عصرنا على أيدي المستشرقين، فأولو الشرق العربي الكثير من الاهتمام، فنقلوا ثقافته العربية إلى الغرب ويتجلى ذلك من خلال الدراسات اللغوية والترجمات التي قاموا بها وتحت التأليف باللغة العربية بعد تعلمها وفهم أسرارها، وذلك من أجل، فهم علومنا ومعرفة خصائص لغتنا، ومن المستشرقين الذين درسوا اللغة العربية كوسيلة لا كغاية أو وظيفة نجد المستشرقين الألمان، وقد وجدت أن برجشتراسر يعد من المتميزين في دراسة أصوات العربية فارتأيت أن أختار أحد مدوناته الموسومة بعنوان التطور النحوي للغة العربية حيث درس فيه جوانب ترتبط بالية إصدار الأصوات، وأخرى فيها موازنات بين الأصوات العربية وبعض الأصوات في اللغات الأعجمية، وهو ما يندرج ضمن الدراسات المقارنة، التي تعد أول فروع الدراسات اللغوية التي عرفها الباحثون في الوطن العربي، وتطرقنا فقط للجانب الصوتي خلال دراستنا، إذ ليس بمقدور أحد أن يدرس اللغة من جميع جوانبها دفعة واحدة، وإنما يدرس كل جانب على حدا، ليسهل له رؤية أبعاده وتناول جزئياته.

Résumé

Les sujets de la phonétique ont longtemps occupé une place importante dans les livres de la grammaire et de la morphologie jusqu'aux âges tardifs, mais dans les ouvrages de la science de la psalmodie, l'attention à la phonétique a continué à bien, puis a été orientée vers une tendance scientifique comme un fruit de la traduction directe de la médecine grecque, représenté par AVICÉNNE (Ibn sina) dans sa lettre << raisons d'occurrence des lettres >> . Ainsi les recherches phonétique ont évolué au cours du temps. L'étude des voix arabes de notre ére a été animée par les orientalistes, qui ont consacré beaucoup d'attention à l'orient arabe, ils ont transféré sa culture à l'occident. Cela se manifeste à travers des études langagières et des traductions qu'ils ont faites et même la production en langue arabe après avoir appris et compris ses tréfonds, dans le but de comprendre nos sciences et connaitre les caractéristiques de notre longue. Parmi les orientalistes qui ont étudié la langue arabe comme un moyen et non une fin ou une fonction, nous citons les orientalistes allemands. J'ai constaté que Gothelf BERGSTRASSER est l'un des plus distingués dans l'étude des voix arabes. cela m'a motivé à choisir un de ses corpus intitulé << l'évolution grammaticale de la langue arabe >> ou il a étudié les aspects associés au mécanisme d'émission des voix, et un autre dans lequel il ya un équilibre entre les voix arabes et quelques voix de langues étrangères. Ceci s'inscrit dans les études comparatives, première branche d'études linguistiques connue par les chercheurs du monde arabe. Au cours de notre études, nous n'avons abordé que la partie vocale, car personne ne peut étudier tous les aspects de la langue à la fois; mais étudier chaque aspect séparément, pour percevoir clairement ses dimensions et bien gérer ses particules.